سلسلة نوادِرُ الظرفاء من الشُّعراء والأُدباء

أبو النواس

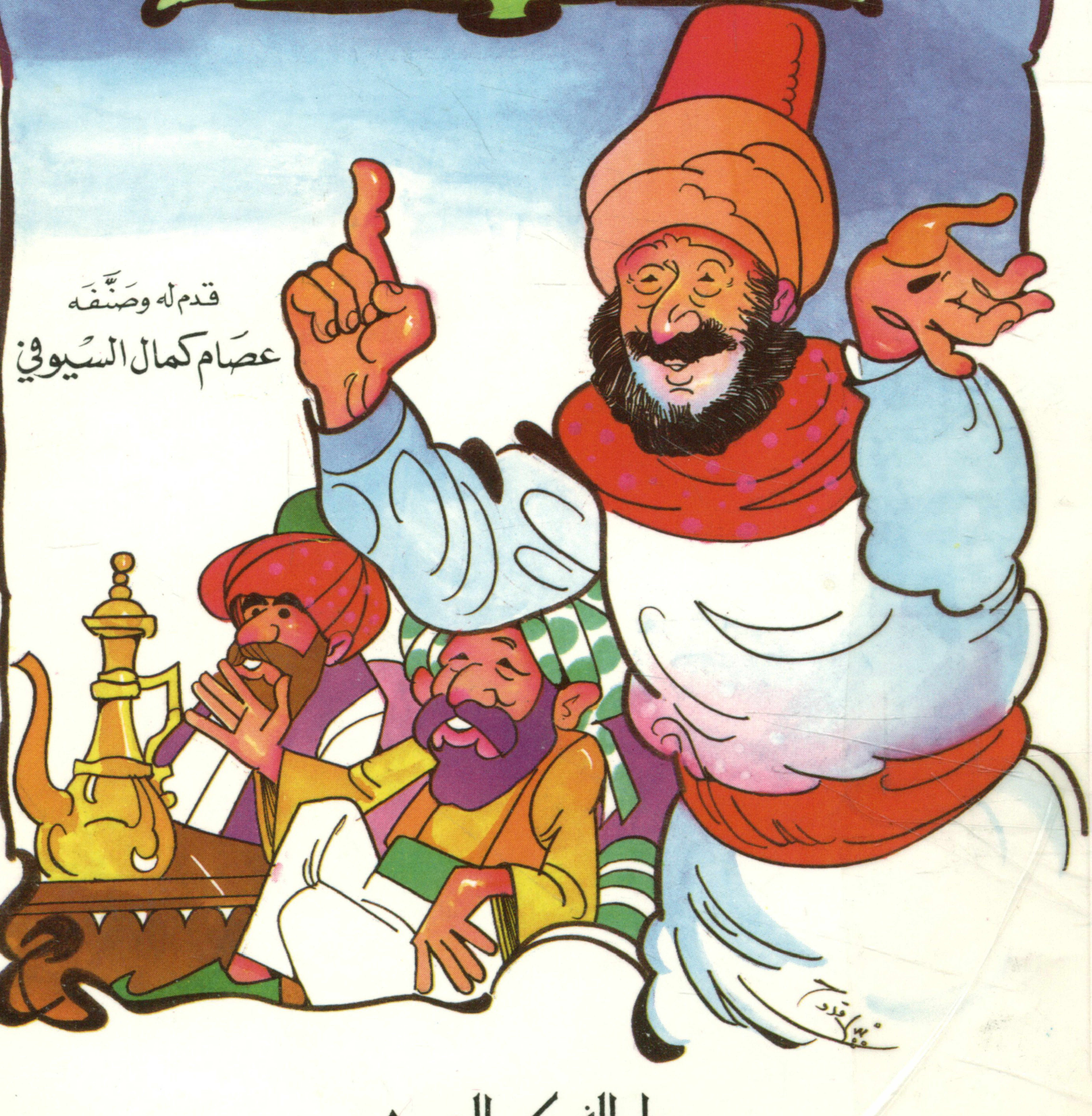

قدم له وصَنَّفه

عصام كمال السيوفي

89

دار الفكر العربي

أبو نواس

- الحسن بن هانئ الحكمي -

نوادر الظرفاء من الشعراء والأدباء

أبو نواس

الحسن بن هانئ الحكمي

قدم لها وصنفها

عصام كمال السيوفي

دار الفكر العربي

بيروت

دار الفكر العربي
للطباعة والنشر
كورنيش المزرعة - مقابل بنك بيروت والرياض
بناية ميدواي سنتر - طابق ٥ - هاتف ٨١٧٢٨٨
ص.ب : ١٤/٥٠٧٠ - بيروت، لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى ١٩٩١

● يُروى أن بعض المتأدبين لحظوا على ابن الأعرابي اللغوي في بعض زياراته أنه يحملُ في كُمّه صحيفة لا تفارقه، فأحبوا أن يقفوا عليها، فدخل يوماً إلى المُتهيَّأ وترك صحيفته تلك في مجلسه، فنظروا فيها، فإذا فيها كثير من شعر أبي نواس في الخمر. وكانوا إذا ذكروا أبا نواس بحضرته استخفّ به وبذكره، فلما عاد إلى المجلس أعادوا عليه ذكره ـ وعرف ابن الأعرابي في وجوههم وقوفهم على ما في الصحيفة ـ فقال: «أوَقرأتم الصحيفة؟» قالوا: «أجل، وعجبنا من إزرائك بأبي نواس مع تدوينك شعره!» فقال: «إنه من أشعر الناس. وما يمنعنا من رواية شعره إلّا تبذّلُه».

ألحان الحان. عبد الرحمن صدقي ص (١٤٩).

* * *

● قال القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجاني: «إن خصم هذا الرجل (يعني المتنبي) فريقان: أحدُهما يَعُمُّ بالنقص كلَّ

محدَث، ولا يرى الشعر إلا القديم الجاهلي وما سُلِكَ به ذلك المَنهج، وأُجرِيَ على تلك الطريقة، . . . فإذا انتهى إلى من بعدهم، ـ كبشار وأبي نواس وطبقتهم ـ سمّى شعرهم مُلَحاً وطُرَفاً واستَحسنَ منه البيتَ استحسانَ النادرة، وأجراه مجرى الفكاهة . . . » .

الوساطة بين المتنبي وخصومه. ص (٤٩)

فاتحة الكتاب

بسم الله وبه نستعين

● «وإنه هو أضحك وأبكى،
وإنه هو أمات وأحيا. . .»
قرآن كريم (النجم/ ٥٣)

هذا كتاب «نوادِر الظّرفاء من الشعراء والأدباء» فعساهُ يكون أماً ولوداً تُنتج فَتُتئم، فيكون هذا الكتاب بكرِهَا الأغر.

وما تأليفنا هذا النـوع إلا لنلفت إلى أن الفكر والأدب لا يقومان على الجدّ الركين ولا الوقار الزّمّيت وحدهما. وإنّما هناك قِوام آخر لهما هو روح المرح والمُزاح التي تسري فيهما مسرى الروح في الجسد، فتليّن يباسَهما وتبيّن ما في تقاسيم الجدّ المتجهّم من بشائر الضياء البسَّام كما يبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر. وهذه الروح هي المسماة بالظرف.

والظرف هو البراعة وذكاء القلب. وقيل: «الـظرف حُسن العبـارة وحُسن الهيئة والحـذق. والظريف هـو البليغ الجيّـد

الكلام. والظرف في اللسان البلاغة حتى قالوا: الظريف مشتق من الظرف وهو الوعاء. كأنهم جعلوا الظرف وعاءً للأدب ومكارم الأخلاق[1]. ولذلك قال الوشّاء: «لا أدب لمن لا مروءة له، ولا مروءة لمن لا ظرف له، ولا ظرف لمن لا أدب له»[2]. وإنّ أهل الأدب وأولي الأرب لا يستغنون عن معرفة ظريف المُضحكات وشريف المفاكهات إذا لاطفوا ظريفاً أو مازحوا شريفاً![3] لذلك لم يَسْتَغن أهل العلم والحُكم وذوو الأحساس المرهفة والأذهان اللطيفة عن الشعراء المسامرين والأدباء المنادرين لتستجّم نفوسهم بظرفهم بعد كدّ أذهانهم بأمور دينهم ودنياهم، ولهذا قال الأصمعي: «بالعلم وَصَلْنا، وبالمُلِح نِلنا»[4] لأنّ العاقلَ قد يملّ الجدّ إذا طالَ ذلك عليه، والقُلب إذا أُكرِهَ عَمِيَ[5]. وقد قال أبو الدرداء، رضي الله عنه: «إني لأستجمُّ نفسي ببعض الباطل مخافةَ أن أحملَ عليها من الحقّ ما يُمِلّها»[6].

وكان ابن عبّاس، رضي الله عنه، يقول في مجلسه بعد

---

(١) راجع: لسان العرب لابن منظور. مادة: ظرف.
(٢) المُوَشّى: للوشّاء. دار صادر ص ٩.
(٣) جمع الجواهر. الحصري القيرواني، دار إحياء الكتب العربية ص (٢٦)
(٤) المرجع نفسه.
(٥) نهج البلاغة: علي بن أبي طالب. د. صبحي الصالح. ص (٥٠٣).
(٦) مفاخرة الجواري والغلمان، رسائل الجاحظ (٢/ ٩١).

الخوض في الكتاب والسُّنة والفقه والمسائل: «أحمِضوا». أي عدّلوا النفس لئلا يلحقها كلال الجد. وهو الذي لم يتورّع عن ترك حلقة الفِقه وقطع ما كان فيه من تفسير الحلال والحرام ليستنشد عمر بن أبي ربيعة ما أبدعته شاعريته من ظريف الغزل[1].

فالفكر إمتاع ومؤانسة، والمذاكرة استفادة واستطراف. ولاختيار المطايبات والمداعبات وما انخراط في سلكها من المُلحَ والمُزَاح أصول لا يُخرج فيها عنها، وفصول لا يُخرج بها منها، فكان شرط المسامِر والمنادر خِفّة الإشارة ولطف العبارة، والظرافة والرشاقة، والرّفق واللباقة[2].

وعليه، فلا تظنّن، أيها القارىء، أنّك ستقرأ ما تنفر منه النفس ويزور عنه الفكر. ولا تتوقّعنّ أن تقع على ما يخدش حياء العذراء، ويندى له جبين الأمرد، وينبو عنه قلب العاقل الحصيف.

وإنّما نحن ننادر العلماء ونسامر الحكماء من الشعراء والأدباء المشهود لهم بالظرف والكياسة والأدب والمروءة. وقد قال الجاحظ: «إنّ المُزَاحَ جِدّ إذا آجتُلِب ليكون علّة

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ص (١٥).
(٢) جمع الجواهر، الحُصري القيرواني. ص (٩).

للجد، وإن البطالة وقار ورزانة إذا تُكُلِّفَتْ لتلك العاقبة»[1].

ولقد جلعنا باكورة «نوادر الظرفاء من الشعراء والأدباء» شيخ الظُّرّاف أبا نُواس، الحسن بن هانىء الحكمي.

عصام كمال السيوفي

(١) الحيوان. الجاحظ. تحقيق عبد السلام هارون (١ / ٣٧).

ظرف أبي نواس

«فَدَيْتُ مَن تمَ فيه الظرفُ والأدبُ
ومن يَـنـيـهُ إذا مـا مَسّهُ طربُ
ما طارَ طرْفي إلى تحصيلِ صورتِهِ
إلا تداخلني من حُسْنِها عجبُ»
(ديوان أبي نواس. ٣٤٧)

* * *

لقد اصطفينا ظريفنا الأول شيخ الظراف الشاعر أبا نواس الحسن بن هانىء لإكثار الناس قديماً وحديثاً في أبي نواس. ولعلّ أبا عليّ كان مدركاً مدى ظرفه وحلاوة حديثه وطلاقة لسانه وحذاقة فكره وحظوته، فكان يقول:

بَنَيْنَـا على كِسْـرى سَمَـاءَ مُـدَامَـةٍ
مُـكَـلَّلَةٍ حَـافَـاتُـهـا بـنُـجـوُمِ
فَلَوْ رُدَّ في كِسْرى بْنِ سَـاسَانَ روحُـهُ
إذن لاصـطَفَـاني دونَ كـلِّ نَـديم(١)

---

(١) ديوان أبي نواس، أحمد عبد الحميد الغزالي، دار الكتاب العربي ص (٤٤٨).

وأبو نواس هو شاعر العربية في القرن الثاني الهجري. ويرى معظم نَقَدةِ الشعر، قديماً وحديثاً، أنه كان أرحب شعراء عصره نَفَساً وأعمقهم حسّاً وأبرعهم فناً، كما كان أخصبهم خيالاً وأوفرهم حظاً من الظرف والفكاهة.

وهو صاحب النوادر، والماجن الظريف الخفيف الظل، المشبوب بالحيوية الذي ترجّحت حريته الشخصية بين جواذب الخير ودوافع الشر، وبين الجدّ والهزل.

ولقد بلغ أبو نواس من نباهة الذكر واستفاضة الشهرة وبُعدِ الصيت ما جعل الناس يروون عنه في شغف ولذّة، «فكان شعره أشبه شيء باللحن العبقري لا تلبث أن تعيّه القلوب وتشتفّه الآذان وتردّده الألسن»[1].

وقد ذاعَ صيته فتساوى في ريادته والإرتياح إليه طلاب اللذة المتسامحون وأرباب الجدّ المتزمتون والمتحرّجون.

قال ميمون بن هرون الكاتب: سألت يعقوب بن السكّيت عما يختار لي روايته من أشعار العرب. فقال: «إذا رويَت مِن الجاهليين فلامرىء القيس والأعشى، ومن الإسلاميين لجرير والفرزدق، ومن المُحدثين لأبي نواس فحسبك».

---

(١) ديون أبي نواس. مقدمة عزيز أباظة ص (أ).

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: «أبو نواس في المُحدثين مثل امرىء القيس في المتقدمين: فتح لهم هذه الفِطنَ، ودلّهم على المعاني وأرشدهم إلى طريق الأدب والتصرّف في فنونه».

وقال العتّاني أحد شعراء البرامكة: «والله لو أدرك هذا الخبيث (يعني أبا نواس) الجاهلية ما فُضّل عليه أحد».

فأنت ترى أنه كان شاعراً مقدّماً، قال فيه الجاحظ: «أبو نواس أقدر الناس على الشعر وأطبعهم فيه. . .» ولم يرَ أعلمَ باللغة منه ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة للاستكراه، فلم يخل كتاب من كتبه من الاستشهاد بشعر أبي نواس في كل ضرب من ضروب المعاني ولون من ألوان القول. وقد عبّر أبو حاتم السجستاني عن ذلك فقال: «كانت المعاني مدفونة حتى أثارها أبو نواس».

ولما سُئل أبو نواس عن مكانته الشعرية أجاب: «سَفُلْتُ عن طبقة من كان قبلي، وعَلَوْتُ على طبقة من جاء بعدي، فأنا نسيجُ وحدي».

وكان يقول: «لو أن شعراء يملأ الفم ما تقدمني أحد».

ولما اختار الخليفة هرون الرشيد الكسائي ليعلّم ابنه الأمين النحو، أختار معه أبا نواس لينشد الأميرَ الشعرَ النادر ويحدّثه الغريب.

بيد أن أبا نواس كان، فضلاً عن ذلك، متميزاً في عدة

علوم. فقال عنه معاصره إسماعيل بن نوبخت: «ما رأيت قط أوسعَ علماً من أبي نواس، ولا أحفظ منه مع قلّة كتبه. ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له إلا قِمَطْراً فيه جُزاز مشتمل على غريب ألفاظ ونرد وشطرنج وعود وطنبور، فرفع وسادته فإذا برقعة مكتوب فيها:

يا رَبِّ! إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبي كَثْرَةً
فلقد عَلِمْتُ بأنَّ عَفْوكَ أعظَمُ
مالي إليكَ وَسِيلَةٌ إلا الرجا
وجميلُ عفوك، ثم أني مُسْلِم[1]

فقد كان متكلماً جدلاً يقارع أرباب الكلام الحُجَّة في الحلال والحرام، وكان راوياً للحديث رواه عن عدّة شيوخ. فقذ ذكر النجاشي في ترجمة فارس بن سليمان الأرّجاني «أنه صنَّف كتاب مُسْنَد أبي نواس». وقال ابن خالويه النحوي والمفسّر: «لولا ما غلب على شعر أبي نواس من الهزل لاستشهدت بكلامه في كتاب الله تعالى». وكذلك قال أبو عمرو الشيباني[2].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري. (١١٧/٥). أبو نواس: قصة حياته، عبد الرحمن صدقي ص (٢٤١).

(٢) طبقات الشعراء. ابن المعتز ص (٢٠٢).

وكان قارئاً للقرآن مجيداً حتى شهد له شيخه يعقوب الحضرمي أنه أقرأ أهل البصرة.

ثم كان مؤرخاً أخذ التاريخ عن أحد شيوخه الذائعين وهو أبو عبيدة معمر بن المثنى صديقه وصفيّه.

فترى بالتالي سبب ذيوع صيت أبي نواس حتى اتخذوا اسمه علماً على كل من يشبهه في صورته.

لكنّ صورته التي فاقت غيرها هي الهزل ـ كما قال ابن خالويه أعلاه ـ والظرف أو المجون حتى درجوا على أن ينسبوا إليه كل شعر في المجون، كما كانوا يصنعون في أمر مجنون بني عامر (قيس ـ ليلى)[1].

وحقاً ما شهر أبو نواس بالظرف، وكثر في شعره وقوله المجون فغطىّ على منزلته في العلم. وكان الناس في عصره يطلبونه ويرغبون في حديثه للتمتع بظرفه ومجونه، حتى قال محمد بن عمر: «لم يكن شاعر في عصر أبي نواس إلاّ وهو يحسده لميل الناس إليه وشهوتهم لمعاشرته وبعد صيته وظرف لسانه».

ووصفه ابن المعتز بأنه: «كان مع كثرة أدبه وعلمه، خليعاً ماجناً وفتى شاطراً[2]. وهو في جميع ذلك، حلو ظريف. وكان

---

(١) طبقات الشعراء ـ ابن المعتز ص (٨٨).

(٢) الشاطر: من أعيا أهله خبثاً وعاش في الخلاعة والمجون، وهو المتعطّل=

يسحر الناس بظرفه وحلاوة لسانه وكثرة مُلَحه. وكان أسخى الناس»[١].

فترى من كل هذا أن أبا نواس قد جمع الأدب والمروءة والظرف حقاً! فقال عنه ابن رشيق: «كان أسيرَ الناس شعراً، وما أحدٌ إلا ويميل إلى عشرته ويحسده على قربه من النفوس لظرفه ولطفه»[٢].

وكان أبو نواس عارفاً مكانته هذه في قلوب الناس وحظوته الأثيرة عند عشاق ظرفه فوصف نفسه ليحيى بن خالد البرمكي، فقال:

كم من حديث معجب لي عندكَا
لو قد نَبذتُ به إليك لسرَّكا
مما تخيّره الرواة مهذب
كالدّر منتظماً بِنَحْرٍ فلّكاً[٣]
إني أنا الرجلُ الحكِيمُ بِطَبْعِهِ
وَيزِيدُ في عِلْمِهِ حكايةُ من حكى

= المتبطل الذي يعيش كما يعيش اللصوص. وللشطّار، وخاصة في ذلك الحين، عادات مميزة وملابس خاصة وطباع مشتركة.

(١) طبقات الشعراء، ابن المعتز. ص (١٩٥).

(٢) العمدة، ابن رشيق (٢/١٨١).

(٣) فلك: استدار.

أتبّع الظرفاءَ آخُذُ عَنْهُمُ
كِيما أُحَدِّثُ من أُحِبُّ فَيَضْحَكا [1]

فأبو نواس فَطِنٌ إلى ظرفه ومجونه وأثره في الناس، عالمٌ بسحر بيانه وأسر كَلِمة وصوغه.

ولعل هذا كله ما حدا الأمام الشريف الرضِيّ ـ وهو من هو ـ على أن يستشهد بأبي نواس متخذاً إياه قدوة مثالية في ظرف القريض وإحكامه معاً. فقال:

بِلفظٍ فاسِقِ اللحظات تُنمى
محاسِنُهُ إلى مَعنى حَصانِ

فجاءتْ غضَّةَ الأطراف بِكراً
تخيَّرَ جيدُها نظمَ الجُمان

كأنَّ أبا عبادة[2] شقَّ فَاهَا
وقبَّل ثَغْرَها الحَسَنُ بنُ هاني[3]

فالشريف الرضيّ قد أدرك بصفاء بصيرته ورهافة حسّه

---

(١) جمع الجواهر، الحصري القيرواني ص (٢٦) ولها في الديوان ترتيب آخر ص (٣٨٣). العقد الفريد ابن عبد ربه (٢/ ٦٦) باختلاف يسير.

(٢) أبو عبادة هو الشاعر البحتري.

(٣) ديوان الشريف الرضي ـ دار صادر. (٢/ ٥٠١).

ولطافة شاعريته أن مجون أبي نواس لا يعني الفسق والفجور والخلاعة واطّراح الأخلاق القويمة الحَصان والإنحراف عن جادة الدين الرزان والصواب والحق. وإن كان ظاهره يوحي بذلك كله. وهذا جليّ في البيت الرابع من أبيات الشريف الرضيّ:

بلفظ فاسقِ اللحظات تُنمى
محاسنُه إلى معنىً حَصان

وهذا ما أعلنه أبو نواس جهاراً لما وصف هزله وظرفه منشداً:

عَفٌّ ضميريَ، هازلٌ
لفظي وفي نَظَري عَرامَةْ[1]
متلطّفٌ لا أشْرَئِبُّ
ولا توبّخني مَلامَةْ
ولَرُبَّما نَزَّهْتُ عيْني
في محاسِنِ ذي وَسَامَةْ
أُهدي له طُرَفَ الحديثِ
لأَسْتَعِيدَ بِهَا كَلاَمَةْ

(١) عرامة: قوّة.

لا غــايَتــي مِــنــه هَــوَىً
تُــلْــفَى مــغــبَّــتــه نَــدامَــهْ[1]

وهو ما جعل ابن المعتزّ يقول فيه: «هو أحد جماعة كانوا يصفون أنفسهم بضدّ ما هم عليه حتى اشتهروا بذلك»[2].

ولعلَّ أصدقَ دليل وأبينَه على صحة ذلك كله الرواية التالية: «كان الأمير العباس بن محمد الهاشمي يتشوّق أبا نواس ويميل إليه. فلما رآه، وسمع منه، ورأى ظرفه وكماله أقبل عليه وقال: «يا أبا علي! أريد أن أقول لك شيئاً فاستحييك وأستحيي من نفسي في ترك نُصحك. وقد بلغني أنّك مكبّ على المعاصي مشتَهر بالقبائح والمجون! فقال أبو نواس: أيها الأمير! أما المجون فكل أحد يقدر أن يمجن، وإنما المجون ظرف ولست أبعد فيه عن حدّ الأدب ولا أتجاوز مقداره. أما المعاصي فإني أثق فيها بعفو الله عزّ وجلّ، ولو أنّ السِّندي يقول ما قال الله عز وجل لوثقت به، فيكف يقول ربّ العالمين: **﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾**[3].

فنرى في ذلك كله أن مجون أبي نواس إنما هو ظرف

---

(١) الديوان. ص (٥٠٥).

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ص (٣٠٨).

(٣) العقد الفريد، ابن عبد ربه. (٦٦/٢).

ومروءة وأدب، ولكنّ بعضهم قد أساء فهم مجونـه هذا حقّ فهمه، وخرج به عن حدّه الذي أعلنه أبو نواس وأقرّ به فأساء الحكم عليه.

لذلك قال أبو نواس نفسه:

قــد صــارَ جِــدّاً مــا مَــزَحْــتُ بِــهِ
رُبَّ جِــدٍ سَــاقَــهُ الــلَّعِــبُ[1]

وبعدُ، فإن ظرف أبي نواس متنوع الأفانين متعدد الألوان بتعدد مذاهبه فيه وتنوّع علومه لذلك أودعنا كتابنا هذا جملة من حدود ظرف أبي نواس وأدبه، وجعلناه أبواباً مُخْتَصَرة أنت منها أبداً مستفيد ومستطرف.

وهذه الأبواب هي على التوالي:

١ ـ باب ظرفه في أعابيثه.

٢ ـ باب ظرفه الكلامي.

٣ ـ باب ظرفه الأدبي.

عصام كمال السيوفي
بيروت ٢٩/ ١/ ١٩٩١

---

(١) جمع الجواهر. الحصري القيرواني ص (٣٤).

ظرف أبي نواس في أعابيثه

● حَلَقْت اليومَ بالطنبو
رِ والكعبينِ والنَّرْدِ
وبالشُرْبِ من الرا
ح على النَّسْرينِ والوردِ
وصَيْدِ الباز والشَّا
هينِ والأكلُبِ والفهدِ
لقد أجْهَدْتَ يا مولا
يَ قلبي... أيَّما جَهْدِ
ولكنْ لم أجِد بُدّاً
منَ أن أجزيَكم ودِّي

(الديوان. ٧٢٩)

لعلّ هذا اللون من ظرف أبي نواس هو من أشهر أفانين ظرفه، إذ لم يترك فيه باباً إلا طرقَه ولا شِعاباً إلا ولجه، فأوغل في مداعبة النظراء وممازحة الكبراء ومعابثة أرباب العلم

والحكماء حتى تجرّأ فيه أحياناً على مواقف الخشوع والتقوى.

ويبدو أن هؤلاء وأولئك كانوا يستفزون أبا نواس لحمله على الظرف والتظرف ، لأنهم كان يستملحون قوله وفعله، أو أنّ السكر كان يطوّح به أحياناً فيدفعه إلى مواقف ظريفة كان الآخرون يتقبّلونها منه بسماحة ورحابة صدر لما عرفوا فيه من صفاء الطوية وسلامة النية وخفة الظل ورشاقة المسلك ولطف القول.

● **ظرفٌ مُحدَث.**

(١) روْوا أنه لما قدم أبو نواس بغداد كان محمد الأمين وليّ عهد الرشيد إذ ذاك غلاماً يافعاً، فعَلِقَه وأولعَ به. وكان الكسائي يقوم على تهذيبه، فطلب إليه أبو نواس أن يأذن له في تقبيله وأن يحتال له على ذلك، وتهدّده بأن يهجوه إن هو لم يأذنْ له فيما أراد. فاتفق معه الكسائي على أن يغيب أياماً ثم يحضر كأنه قادم من غيبة فيسلم عليه الكسائي ويعانقه ثم يلوي على الأمين فيسلم عليه ويعانقه. وبذلك يتم له ما يريد. فرضي أبو نواس بذلك. وقال فيه:

قد أَحْدَثَ الناسُ ظَرْفاً ،
يَعْلو على كُلِّ ظَرْفِ
كانوا إذا تَلاَقَوْا
تَصَافحوا بالأَكُفّ

فـأَحْـدَثـوا الـيـومَ رَشّـفَ
الـخُـدُودِ، والـرَّشْـفُ يَـشْـفـي[1]

● من طرائف حبسه .

(٢) كـان أبـو نـواس قـد حُبس في أيـام الأمين مـرتين: إحداهما أنه بلغَ الأمينَ قولُه :

ومُـسْـتَـعْـبِـدٍ إخْـوَانَـه بِـشَـرائِـه
لبِستُ لـه كِبْـراً أَبـرَّ عـلى الكِـبْـرِ
وقـد زادَني تِيهـاً على النـاسِ أَنني
أَرَانِيَ أَغْنَـاهُـمْ وإن كنـتَ ذا عُسْـرِ
فـلا يَـطْـمَـعَنْ في ذاكِ مِـنّي طـامـعٌ
ولا صاحبُ التَّاجِ المحجّبُ في القصر[2]

فقال له الأمين: وبلغ بـك الأمر إلى أن تعـرّض بي في شعرك يا ابن اللخناء! فقال سليمان بن أبي جعفر: هو والله يا أمير المؤمنين زنديق. وقد شهد عندي جماعة أنه شـرب ماء مـطر مع خمـر، فقيل له: لِمَ فعلت ذلـك؟ قـال: لأشـرب الملائكة، ألا تقولون إنه كان مع كل قطرة مَلَك! فأمر بحبسه، فقال:

---

(١) أبو نواس، المكتبة الحديثة، ص (١٠٢).
(٢) الديوان ص (٥٩٧) (مع اختلاف يسير ببعض الألفاظ).

يـا ربِّ إنّ الـنـاس قـد ظلمـوني
وبـلا آقْتـرافِ خَـطِيئـةٍ حَبَسـوني
مـا كـان إلا الجـريُ في مَيْـدانِهم
في كـلّ خـزي، والمجـانَـةُ ديني
لا العـذُر يُقبل لي، ويفـرق شاهـدي
منهم، ولا يَـرْضـونَ حَلْفَ يميـنـي
أمـا الأمـينُ فَـلَسْـتُ أرجـو دَفْـعَـهُ
عني، فَمَـنْ لي اليـومَ بـالمأمون!؟(١)

فقال المأمون لمّا بلغه ذلك: والله لئن أدركته لُأحسننّ إليه، ولأغنينّه غنى لا يؤمّله(٢).

(٣) ولما طال حبس أبي نواس، قال في حبسه:

إحـمَـدوا الـلّهَ كـثيـراً
يـا جـميـعَ الـمسـلمـيـنـا
ثـم قـولـوا لا تـمـلّوا
ربّـنـا أبـقِ الأمـيـنـا
صـبّـر الـخِـصْـيَـانَ حـتـى
جَـعَـلَ الـتّـصْبيـرَ ديـنـا(٣)

---

(١) الديوان ص (٥٩٦).
(٢) تاريخ الأمم والملوك. الطبري (٥/١١٦ ـ ١١٧).
(٣) صبّر: قطع وأمال.

فاقتدى الناسُ جميعاً
بأميرِ المؤمنينا[1]

(٤) وحبسه الأمين قبل ذلك. وذلك لأن المأمون لما خلع الأمين بخراسان ووجّه طاهر بن الحسين إليه ليحاربه، كان يعمل بعيوب الأمين كتباً لتُقرأ على المنابر بخراسان. وكان مما عابه به أنه قال: احتبس شاعراً ماجناً كافراً يقال له الحسن بن هانيء، واستخلصه معه لشرب الخمر وارتكْاب المآثم وانتهاك المحارم، وهو القائل:

ألاَ فَاسْقِنِي خَمراً وقل لي هي الخمر
ولا تَسْقِنِي سِراً إذا أمْكَنَ الجَهْرُ
وبُحْ بآسْمِ من أهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الكُنَى
فلا خيرَ في اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ[2]

(فقال أبو علي بن المظفَّر الحاتمي: هذا معنى ظريف. يقول: إنّ الملاذّ بالحواس الخمس وهي: النظر والسماع والشم والذوق واللمس. فقد استمتعت حاسة البصر بالنظر إليها، وحاسّة الشم بتضوّعها وطيب نكهتها، وحاسة الذوق بطعمها، وحاسة اللمس بلين الملمس، وبقيت حاسة

(١) الديوان دار صادر ص (٦٦١).
(٢) الديوان ص (٢٨).

السمع معطّلة فقال : وقل لي هي الخمر ، لِتَلْتَذّ حاسة السماع فيكمل الاستمتاع).

فاتصل بالأمين خبرُ المأمون ، فأغراه الفضل بن الربيع بأبي نواس فحبسه. فكتب أبو نواس إلى الفضل من الحبس :

أنتَ يا بنَ الربيعِ عَلَّمْتني الخيْـ
ـرَ وَعَوَّدْتَنِيهِ والخيرُ عَادَهْ
فأرْعَوَى بَاطِلي وعاوَدَني حِلْـ
ـمي وأحدثتُ رَغْبَةً وزَهادَهْ
لو تراني شَبَّهْتَني الحَسَنَ البَصْـ
ـريَّ في حالِ نُسْكِه أو قَتَادَه
المسابيحُ في ذِراعي والمُصْـ
ـحفُ في لُبِّي مَكانَ القِلادَه
فإذا شئتَ أن تَرى طُرْفَةً تُو
جبُ منها مليحةً مُسْتَفَادَه
فادْعُ بي - لا عَدِمْتَ تقويمَ مِثْـ
ـلي - فَتَأمَّلْ بِعَيْنِكَ السَّجّاده
ترى أثراً من الصَلاةِ بوجهي
تُوقِنُ النَّفْسُ أنَّها مِن عِبَادَه
لو رآها بعضُ المرائينَ يَوْماً
لاشْتَرَاهَا يُعِدّها للشهادَه

(أرأيت ظرفَه في تشبّهه ـ مازحاً ـ بالحسن البصري إمام علماء عصره، وقتادة، وتصوير نفسِه والمسابيح في ذراعه!!).

فلما بلغ الشعرُ الفضلَ ضحك وقال: من علم أنّ السجّادة تصلح للشهادة بعد؟! وكلّم فيه الأمين فتركه بعد أن أخذ عليه ألا يشرب الخمر.

(٥) ولمّا حبس الأمين أبا نواس، دخل عليه خال الفضل بن الربيع، وكان يتعهدّ المحبوسين ويسأل عنهم، وكان فيه غفلة. فأتى أبا نواس وقال: ما جُرمك حتى حُبست في حبس الزنادقة؟ أزنديق أنت؟ قال: معاذَ الله! قال: أتعبد الكبش؟ قال: ولكني آكله بصوفه. قال: أتعبد الشمس؟ قال: والله ما أجلس فيها من بُغضها، فكيف أعبدها؟ قال: أفتعبد الديك؟ قال: لا والله بل آكله. ولقد ذبحت ألف ديك لأن ديكاً نقرني مرّة، فحلفت ألا أجد ديكاً إلا ذبحته، قال: فلأيّ شيء حُبست؟

قال: لأني أشرب شراب أهل الجنة، وأنام خلف الناس. قال: وأنا أيضاً أفعل ذلك! ثم خرج إلى الفضل فقال له: ما تحسنون جوار الله، تحبسون من لا ذنب له! سألت رجلاً في الحبس عن خبره، فقال: كذا وكذا. . . وعرّفه بكل ما جرى بينه وبين أبي نواس، فضحك ودخل على الأمين فأخبره

الخبر. فأمر بتخليته للحال. ودعا به، وتقدم إليه أن يجتنب الخمر والسكر. قال نعم. قال له: فبعهد الله! قال: نعم، قال: فاخرج.

● **نِصف رأس خليفة يُرفَعُ!**

(٦) حكى ابن منظور عن أبي نواس قال: أمر الرشيد الكسائي أن يختلف إلى محمد الأمين بعدما ولّاه العهد ليعلمه النحو، وأن يحضرني إذا حضر لأنشد محمداً الشعر النادر وأحدّثه الغريب.

وكان خادم من قبل الرشيد موكُلاً بمحمد فجرى بين الخادم وبين محمد يوماً كلام وأنا حاضر. فأمرني محمد بهجو الخادم فخفت إن هجوته أن يغتابني عند الرشيد فيقتلني، وإن لم أهجه خفت محمداً أن يقتلني، فقلت للكسائي: يا أبا الحسن ما يحتال في هذا غيرك. فأصلحَ بين الخادم ومحمد. وبعث إليّ محمد فصرت إليه. وقلت له: «بلغني أنك تهددنني بالقتل؟ قال: نعم! فما قلتَ في ذلك؟ فحضرني على المكان:

بِكَ أَسْتَجِيرُ مِنَ الرَّدَى
وأَعُوذُ مِن سَطَوَاتِ بَاسِكْ
وحياةِ رَأْسِكَ لا أَعُو
دُ لِمِثْلِهَا وَحَيَاةِ رَاسِكْ

مَـنْ ذا يـكـونُ أبـا نُـوَا
سِـكَ إن قَـتَـلْـت أبـا نُـوَاسِـكْ

فتبسم ثم قال: لا يكون، وأمر لي بتخت ثياب[1].

(٧) ثم قال في هذا المعنى معاتباً الأمين به:

قُـلْ لِـلـخـلـيـفـةِ إنَّـنـي
حَـتَّـى أَرَاكَ بِـكُـلِّ بَـاسِ
مَـنْ ذا يَـكـونُ أبـا نُـوَاسِـكَ
إذا حَـبَـسْـتَ أَبَـا نُـوَاسِ؟!
أَقْـصَـيْـتَـهُ، وَنَـسِـيـتَـهُ
وَلِـعَـهْـدِهِ بِـكَ غـيـرُ نَـاسِ
قَـدْ كـنـتُ آمُـلُ غـيـرَ ذا
لـو كـنتَ تُـنْصِـفُ في الـقيـاسِ
إن أَنْـتَ لـم تَـرْفَـعْ لـه
رَأْسـاً، فُـديـتَ، فَنِصْـفَ راسِ

فلمّا أن قرأها الأمين تبسّم وقال: لا أبا نواس بعده. وناولها الفضل بن الربيع، فشفع له. فأمر بإطلاقه والإقبال به إليه. فلما أن دخل عليه أمر له بعشرة آلاف درهم وحمّله وكساه.

فلما سمع صديقه العتّابي ذلك قال له: يا ابن. . . ، ما أحسن نصف رأس خليفة يُرفعُ؟ فقال أبو نواس: جعلني الله

---

(١) وفيات الأعيان. ابن خلّكان (٢/ ٩٩) الديوان ص (٤٢٤).

فداك يا أبا عمرو، لاتُنَبِّهَـنَّ على ذنبي فتُهلكني. ثُم قال له العتابي: هذا عندي من الشعر الذي لا يخاطب به الخلفاء، ولا يخـاطب به إلا من لا أستحسن ذكـره. فإنّ عليه أمـائر الفسق والتخابث[1].

● الخادم الغبيّ.

(٨) انصرف أبو نواس من بعض المواخير سكران. فمـرّ بمسجـد قد حضـرتْ فيه الصـلاة، فدخـل فقـام في الصف الأول، فقرأ الإمام: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ فقال أبو نواس من خلفه: لبّيك. فلما قُضيت الصلاة لبّبوه[2] وقالوا له: يا كافر! نشهد عليك بالكفر ودفعوه. فبلغ خبرُه الرشيدَ فدعا له حمدُويه صاحب الزندقة، وأحضر أبا نواس، فقال له حمدُويه: يا أمير المؤمنين! إنّ هذا ماجن وليس هو بحيث يُظن، قال له الرشيد: ويحك! إنه وقع في نفسي منه شيء، فأمتحنْه، قال: فخطّ صورة ماني[3] وقال له: ابصق عليها، فأهوى أبو نواس بِفيه

(١) نفسه الديوان ص (٤٢٤).

(٢) لبّبوه: أخذوا بلببه أو تلابيبه وهو موضع القلادة في الصدر.

(٣) ماني: هو ماني بن فاتك الحكيم، ظهر في زمن سابور ذي الأكتاف بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى عليه السلام. اتّخـذ له ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوّة المسيـح عليه السلام ولا يقول بنبوّة موسى عليـه السلام. وقـد زعم ماني أن العـالم مصنوع مركّب من أصلين قديمين: أحدهما نور والآخر ظلمة وأنهما أزليان أبديان.

ليقيء عليها، فقال حمدُويه: قد قلت لك يا أمير المؤمنين إنه ماجن. قال: ودعا برجل من الزنادقة مشهورٍ وقال له: ابصق عليها، فقال: وما معنى البُصاق؟ إنه من أخلاق الشرك ولا أفعله، وأبى أن يفعل. فقال الرشيد لبعض خدم قصره: امضِ بهذا (يعني أبا نواس) إلى السِّنديّ فقل له: أدِّبْه وأطلقْه، وبهذا (يعني الزنديق) فقل له: احبْسه قِبَلك إلى أن تستتيبَه، فإن تاب وإلا قتلناه.

قال: فمضى بهما الخادم، فلما صار في آخر الصحن، قال أبو نواس للخادم: إلى أين تذهب بنا؟ قال: إلى السِّندي. قال: فما تقول له؟ قال: أقول له يحبسك قِبَلَه حتى تُستتابَ أو تقتل ويؤدب هذا ويطلقه! قال: فرفع أبو نواس يده ولطمه، وقال له: يا ابن الزانية! من الساعة نسيت!.

وبَصر بهم الرشيد فقال: ردّوهم. فقال لأبي نواس: ما هذا الذي رأيت منك؟ قال: أراد والله أن يهلكني ويطرحني بحيث أُنسى أبداً أو أبقى مخلّداً. سَلْه يا أمير المؤمنين عن الرسالة. فإذا هو قد غيّرها، فضحك الرشيد من أبي نواس وأطلقه[١].

● والي القِرَدَة.

(٩) كان أبو نواس خارجاً من دار الخلافة، فتبعه الرّقاشي

---

(١) عصر المأمون. الجزء الثالث، أحمد فريد الرفاعي ص (٢٣٢ ـ ٢٣٣).

الشاعر، وقال له: أبشِرْ أبا علي! إن الخليفة قد ولّاك في هذه الساعة ولاية! قال أبو نواس: وما هي؟ ويلك! فقال الرقاشي: ولّاك على القِـرَدَة والخنازيـر! فقال أبـو نواس: إذا فـاسمـعْ وأطِع[1].

● **أبان أم أتان!**

(١٠) لمّا تولى أبان بن عبد الحميد اللاحقي ديوان الشعر لابن يحيى بن خالد البرمكي في عهد الـرشيد كـان الشعراء يرفعون إليه أشعارهم في البـرامكة فيُسقط مـا يرى إسقـاطه ويعرض ما يـرى عرضـه. فأسقط مـرّة شعر أبي نـواس فيما أسقط. فقال أبو نواس:

صَحّفَتْ أُمُّك إذ سمّـ
تك في المهد أبانا[2]
قد علمنا ما أرادت
لم تُرِدْ إلا أتانا[3]
صيّرت باءً مكان التّـ
ـاءِ والله أعانا

---

(١) الفكاهة في الأدب ـ احمد محمد الحوفي ص (١٧١).
(٢) صحّف الكلمة: أخطأ في قراءتها وروايتها أو حرّفها عن وضعها.
(٣) الأتان: (ج) أُتُن: الحِمارة.

قَـطع الله وشـيـكـاً
مـن مـسـمـيّـك الـلـسـانـا[1]

● **عبث الغلام**

(١١) دخل ابنُ مناذر المسجد الجامع بالبصرة فوقعت عينُه على غـلام مستند إلى سـارية فخـرج والتمس غلامـاً ورُقعة ودواة. فكتب إليه أبياتاً مدحه بها، وسأل الغلام الذي التمسه أن يوصلَ الرقعة إلى الفتى المستند إلى السارية. فذهب بها إليه، فلما قرأها قلبها وكتب على ظهرها:

مـثـلُ امـتـداحـك لـي بـلا وَرِقٍ
مثـلُ الجـدار بُني عـلى خُـصٍّ[2]
وألـذّ عـنـدي مـن مـديـحـك لـي
سـودُ الـنّعـالِ وَلَيِّـنُ الـقُـمصِ[3]
فـإذا عـزمـتَ فـهـيءْ لـي وَرِقـاً
فـإذا فـعـلتَ فـلسـت أسـتـعـصي

فلما قرأها ابن مُناذر قام إليه وقـال له: ويلك! أأنت أبـو

---

(١) الفكاهة في الأدب، أحمد محمد الحوفي ص (٨٦) نقلاً عن: الـوزراء والكتاب ص(٢١١). أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد. د. أحلام الزعيم ص (٢٩) نقلاً عن مختار الأغاني لابن منظور (٢٦٢/٣).
(٢) الوَرِق: الدراهم المضروبة / الخُصّ البيت من قصب أو شجر.
(٣) القُمْص: والقُمُصُ: مفردها: القميص.

نواس؟ قال: نعم! فسلَّم عليه وتعانقا. وكان ذلك أول الموّدة بينهما[1].

● **تلميذ قارح.**

(١٢) جاء أبو نواس إلى استاذه خلف الأحمر يوماً وقال له: اسمع مني قصيدة رثيتك بها! وأنشده:

. . . .

أودى جماعِ العلم مذ أودى خَلَفْ[2]
مـن لا يُعَـدُ الـعِـلمُ إلا مـا عـرفْ
قَلَيْـذَمٌ من الـعيـالـيمِ الـخُسُـفْ[3]
فـكـلمّـا نـشـاءُ مـنـه نـغـتـرفْ
روايـةً لا تُـجـتَـنـى مـن الـصُـحُـفْ

فقال له خلف: ويلك! ما حملك على أن رثيتني وأنا حيّ؟ قال: أردتْ أن أعلم أَقَرِح شعري أم لا؟ فقال له: نعم قرح، أقرح[4] الله جوفك[5].

---

(١) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني. دار الثقافة (١٨/ ١٠٧).

(٢) أودى: هَلك.

(٣) القَلَيذم: البئر الغزيرة، العياليم: جمع عَيلم وهو البحر أو البئر الكثيرة الماء. الخُسف: جمع خسيفة وهي البئر حُفرت في حجارة فنبعت بماء كثير لا ينقطع.

(٤) قرح الشعر: جاد واكتمل. أقرح الله جوفك: أصابك فيه بجروح.

(٥) أخبار أبي نواس ـ ابن منظور ص (١٠٩). الفكاهة في الأدب: أحمد

● **جُبّة كانون.**

(١٣) قال سائل لأبي نواس: هبْ لي هذه الجُبة! فقال: لا أملك غيرها، فقال السائل: إن الله تعالى يقول: **﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصة﴾** فقال أبو نواس: هذه الآية نزلت في شهر تموز في أهل الحجاز، ولم تكن نزلت في شهر كانون في حق أهل بغداد![1].

● **زانة وأبو الخير.**

(١٤) خرج أبو نواس متنزهاً مع شُطّار من أصحابه، فنزلوا روضة، ووضعوا شراباً، فمر بهم طُفيلي فتطارح عليهم. فقال له أبو نواس: ما اسمك؟ قال: أبو الخير. فرحّب به وقعد معهم. ثم مرَّت بهم جارية فسلّمت، فردّ عليها وقال لها: ما اسمك؟ قالت: زانة. قال أبو نواس لأصحابه: اسرقوا «الياء» من أبي الخير فأعطوها زانة فتكون «زانية» ويكون أبو الخير «أبا الخر» كما هو[2].

● **قينة عجيبة.**

(١٥) قال الشيباني: كانت بالعراق قيْنة، وكان أبو نواس

محمد الحوفي ص (٦٨). الديوان ص (٥٧٧). طبقات الشعراء ابن المعتز (١٤٨).

(١) الفكاهة في الأدب، أحمد محمد الحوفي ص (١٥٦) نقلاً عن أخبار أبي نواس ص (١٢٣).

(٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه. (٢٠٦/٧).

يختلف إليها فتظهر له أنها لا تحب غيره. وكان كلما جاءها وجد عنها فتى يجلس عندها ويتحدث إليها، فقال فيها:

ومظهرةٍ لخلق الله وداً
وتلقى بالتحية والسلام
أتيتُ فؤادها أشكو إليه
فَلَم أخلُص إليه من الزّحام
فيا من ليس يكفيها خليل
ولا ألفا خليل كل عام
أراك بقيةً من قوم موسى
فهم لا يصبرون على طعام[1]

● صلاة طريفة.

(١٦) رؤي أبو نواس وهو يصلّي في الجماعة! فقيل له: ما هذا؟ قال: أردتُ أن يرتفع إلى السماء خبر طريف[2].

(١٧) قال أبو السفّاح: قلت لأبي نواس: الصلاة! فقال: رويداً حتى تذهب حُميّاها! قلت: وما حميّاها؟ قال: الركعتان

---

(١) الشعر والشعراء، ابن قتيبة (٢/٨٢٠). العقد الفريد، ابن عبد ربه (٧/٥٩). ثمار القلوب: أبو منصور الثعالبي النيسابوري ص (٥٢ - ٥٣).
وبقية قوم موسى: يُضرب بهم المثل في الملال وقلة الصبر لأنهم لم يصبروا على طعام واحد.

(٢) أبو نواس: السيّد محسن الأمين ص (٨٠).

الأوليان لأنهما أطول![1].

● **خبز عجيب وقدور أعجب.**

(١٨) قال في بخيل اسمه سعيد:

رغيفُ سعيدٍ عندَه عِدْلُ نفسِه
يقلِّبُه طوراً وطوراً يلاعبُهْ
ويخرجُه من كُمّه فيشمُّه
ويُجلسُه في حجرِه ويخاطبُهْ
وإن جاءه المسكين يطلبُ فضلَه
فقد ثَكِلَتْه أُمُّه وأقاربُهْ
يكرُّ عليه بالسْوط من كلّ جانبٍ
وتُكسَرُ رِجلاه ويُنتَفُ شاربُهْ[2]

(١٩) وقال في آخر اسمه الفضلُ:

رأيتُ الفضلَ مُكتئباً
يناغي الخبز والسمكا
فقطّبَ حين أبصرني
ونكّس رأسه وبكى

---

(١) نفسه.

(٢) الديوان ص (٥٣٤).

فـلـمـا أن حـلـفـتُ لـه
بـأنـي صـائـمٌ ضـحـكـاً[1]

(٢٠) قال يهجو من اسمه محمد بن إسماعيل:

فـتـىً لـرغـيـفـه قُـرطٌ وشـنـفُ
وخـلـخـالان مـن خَـزَرٍ وشَـذْرِ[2]
إذا فـقـد الـرغـيـف بـكـى عـلـيـه
بُكـا الخنسـاءِ إذ فجعت بصخَـرِ[3]
ودون رغـيـفـهِ قَـلْعُ الـثـنـايـا
وحـربٌ مـثـل وقعـةِ يـوم بـدرِ[4]

أرأيتَ أظرف من هذا الرغيف المدلّل!

●اقتراح طريف

(٢١) وقال في البطاقيّ:

شـهِـدتُ الـبـطـاقـيَّ فـي مـجـلـس
وكـان إلـيَّ بـغـيـضـاً مـقـيـتـاً

---

(١) الديوان ص (٥٣٥).

(٢) الشنف: القُرط الأعلى. الخرز: الجوهر. الشذر: قطع من الذهب تُلقَط من معدنه بلا إذابة أو خرز يفصل بها النظم أو اللؤلؤ الصغار.

(٣) الخنساء: الشاعرة المشهورة تماضر بنت عمرو بن الشريد. وصخر: أخوها من أبيها وقد أصيب بطعنة يوم ذات الأثل بجنبه، ولما مات رثته الخنساء بشعر نفيس وظلّت تبكيه حياتها.

(٤) الديوان ص (٥٣٢).

فـقـــال اقتـــرحْ بـعضَ مـــا تشـتـهـي
فقلـــت: اقترحتُ عليك السكوتـــا[1]

(٢٢) وقال يهجو المعبديّين:

وَجَـدْتُ لكلّ النـاس في الجود خـطّةً
ولـو كان سَقْيُ المـاء في منتهى القُـرِّ
ســوى المعبــديين الــذين قــدورُهم
تحــرّزَ فيهــا العنكبــوت من الــحــرّ
همْ أحــرزوا الــرّغفــان حتى تكلّمتْ
أمِنّـا بحولِ الله من حَـذَرِ الكَسْرِ[2].

(٢٣) وقال في الرِّقاشي الشاعر:

قـدِرُ الـرقـاشيّ مضـروبٌ بهـا المَثَـل
في كــلّ شيء خـلا النيــران تُبتَــذَلُ
تشكــو إلى قـدِر جـاراتٍ إذا التقيــا
اليـــومَ لي سَنَـــةٌ مَا مَسَّني بـللُ![3]

(٢٤) وقال فيه أيضاً:

أمـــات الله مـــن جـــوعٍ رِقـــاشـــا
فـلولا الـجــوعُ مَــا مــاتـت رِقـــاشُ

(١) الديوان (٥٣٤).
(٢) الديوان (٥٣٣).
(٣) الديوان (٥٢٨).

ولـو أشـممتَ مـوتـاهـم رغـيـفـاً
ـ وقـد سكنوا القبـور ـ إذاً لعـاشـوا[1]

● **لثغة ظريفة.**

(٢٥) انعكست روحُ أبي نُـواس المرحـة الـظريفـة على شعره، فازدانت مشاعره الفيّاضة بخفة الظلّ وروح الـدُعابـة فَسَرتْ في شعر حافل بالظرف والهزل والفكاهة، كما نشهد في هذه الأبيات التي يتحدث فيها عن غلام حَدَث ألثـغ (اسمه مرداس)، أعجب أبو نـواس بلثغته (وهي لفظ حـرف السين ثاءً)، فقال:

وشـادنٍ سـاءلـتُـه عـن اسـمـه
فـقـال لـي: اسـمـي مـرداث
بـات يـعـاطيـنـي صـريـفـيّـة
وقـال لـي: قـد هـجـع الـنـاث
أمـا تـرى حـثـن أكـالـيـلنـا
زيّـنـهـا الـنـثـريـن والآث
فـعُـدْتُ من لُـثْـغَـتِـه ألـثـغـا
فـقلت: أيـن الـطاث والـكـاث؟[2]

---

(١) الديوان (٥٢٨).

(٢) أبو نواس: بين التظرف والتطرف. هند الخطيب. رسالة ماجستير ص (٦٣) نقلاً عن محاضرات د. محمود ربداوي.

(٢٦) وله في الديوان قطعة أخرى في ألثغ جعل روِيّها مجانساً لثغته:

وابـأبـي ألـثـغُ لاجـجـتُـه
فـقـال فـي غـنـج وإخـنـاث
لـمـا رأى مـنـي خـلافـي لـه:
كـم لَـقـي الـنـاثُ مـن الـنـاثِ
نـازعـتُـه صـهـبـاءَ كـرخـيّـةً
قـد حُـلبـتْ مـن كـرم حـرّاثِ
إبـريـقُـنـا مُـنـتـصـبٌ تـارة
وتـارةً مُـبْـتَـرِكٌ جـاثِ[1]

● «شحّاد» الغرام.

(٢٧) وإليكَ ظرفَه ودعابتَه في هذا الحوار الفَكِه:

أيـن الجـوابُ؟ وأيـن ردُ رسـائـلي؟
قـالت: تنـظَّرْ ردَّهـا في قـابـل[2]
فمـددتُ كفي ثم قلتُ: تصـدّقـي!
قـالت: نعمْ، بحجـارةٍ وجنـادلِ[3]

---

(١) الديوان ص (٢٥).
(٢) تنظّرْ: انتظر.
(٣) الجنادل: الصخور.

إن كنتَ مسكيناً فجـاوز بـابنـا
وارجِـعْ، فمالـك عندنـا من نائـلِ[1]
يـا نـاهـرَ المسكين عنـد سؤالِـهِ
الله عـاتبٌ في انتهـار السـائـلِ[2]

أرأيت مدى لطافة ظرفه في تضمينه الآية الكريمة: «وأما السائل فلا تنهر»! وهو يشير في هذا البيت إلى قصة ابن أمّ مكتوم الأعمى الذي نزلت من أجله آيات «عبس» الأولى، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم حين يلقاه يقول له: أهلاً بمن عاتبني فيه ربي. وقصته معروفة في كتب التفاسير.

● آدمُ خير منك.

(٢٨) روى النّضْر بن أمية الحمصي الشاعر قال: لمّا خرج أبو نواس إلى مصر كتب الناس إلينا بذلك، فلم نزل نرقبه حتى قيل لنا قد قَدم. فجئتُ الخان لأسأل عن خبره. فإذا إنسان قاعدٌ على درجه، مُتّشح بخلوقية[3] يستاك[4]. فدنوت منه فقلت: «يا فتى! إنسان قدم من العراق يقال له أبو نواس؟» وكان معي ابن لي حَسَن الوجه جداً، فقال: «ما تجعلُ لمن يدلّك

(١) النائل: النوال.
(٢) الديوان: (٢٥٣).
(٣) الخلوقية: ثياب فارسية كانت معروفة بهذا الاسم.
(٤) يستاك: يتدلّك بالمسواك أي العود الذي تنظّف به الأسنان.

عليه؟» قلت: «حكمه» قال: «قبلة من هذا الغزال الذي معك» قلت له: «ويحك! هذا ابني!» قال: «آدمُ خير منك والناس يقبّلون بنيه ويلاعبونهم» فقلت له: «أنت أبو نواس» قال: «أنا هو، فمن أين عرفتني؟» قلت: «بنور الإيمان» قال: «لا والله، ولكن بظلمة الكفر، فمرحباً بك». فما زلت أنادمه وما فارقته حتى ارتحل عن حمص وشيّعته[1].

● **حسناء كالبوم.**

(٢٩) قال حسين بن مخلد: دعا حائك أبا نواس يوماً أن يكون عنده، فوعده. ولم يقصّر الحائك في الاحتفال. وجاء أبو نواس فإذا منزل طيّب، فأكل وشرب. وكان الحائك يحب جارية قد شُغِف بحبها، فقال له: يا سيدي! قلْ في حبيبتي شعراً أُسَرّ به! فقال له: أحضرها لأَصفها عن مشاهدة. فأحضرها فإذا هي أسمج خلق الله، سوداءُ، شمطاءُ دندانية[2] يسيل لُعابها على صدرها. فقال له: ما اسمها؟ قال: تسنيم. فأنشأ يقول:

أسهرَ ليلي حبُّ تَسْنيمِ
جَارِيةٌ في الحُسْن كالبومِ

---

(١) أبو نواس: قصة حياته، عبد الرحمن صدقي ص (١٧٢).
(٢) دندانية: الدِّندِن: ما بَلِيَ واسوّد من النبات والشجر.

كَـأنَّمـا نَـكْـهَـتُـهَا كـامَـخٌ
أو حـزمـةٌ مِـن حُـزَم الثوم ِ(١)
حبقتُ مـن حـبي لـهـا حبْـقَـةً
أفـزعـت مـنـهـا مـلك الروم ِ(٢)

فقام الحائك يرقص ويصفق سـائر يـومه ويفـرح ويقول: شبّهتها واللّهِ بملك الروم(٣)!

● مِنَّةُ إبليس

(٣٠) قال رُزين الكاتب: اجتمعنا يوماً أنا وأبو نواس وعليّ بن الخليل في سوق الكـرْخ. وكنّا نجتمـع ونتناشـد الأشعار ونتذاكر الأخبار ونتحدث بها، فقال أبو نواس: أدبرَ من كان في نفسي، وكان أسرع الخلـق في طاعتي، فما أدري ما أحتال له؟ فقال علي بن الخليل يمازحه: يا أبا علي! سلْ شيخك وأستاذك يعطّفْه عليك! فقال أبو نواس: من تعني؟ قال: من أنت في طاعته ليلَك ونهارك (يعني أبليسَ) فإن لم يقض ِ لك هذه الحاجة فما ينبغي لك أن تسأله مسألة ولا أن تقرّ عينـه بمعصية! فقال: هو أسدُّ لرأيه من أن يخُـلَّ بي أو يخذلني، وانقضى مجلسنا ذلك.

---

(١) الكامَخ: جمعها الكوامخ: ما يُؤتدم به أو المخلّلات.

(٢) حَبَقَ: الحَبْق والحَبِق والحُباق: الضِراط.

(٣) أبو نواس: السيّد محسن الأمين ص (٧٩) نقلاً عن تاريخ دمشق.

فلما كان بعد أيام اجتمعنا في ذلك الموضع وأخذنا في أحاديثنا، فضحك أبو نواس، فقلنا له: ما أضحكك؟ فقال: ذكرتُ قولَ عليّ بن الخليل يومئذٍ: سلْ شيخك يعطفْه عليك! حينئذٍ قد سألتُه يا أبا الحسن فقضى الحاجة، وما مضت والله ثالثة حتى أتاني من غير أن أبعث إليه، ومن غير أن أستزيده، فعاتبني واسترضاني. وكان الغضب منه والتجنّي. وأحسب الشيخ (يعني إبليس) كان يتسمّع علينا في وقت كلامنا، وقد قلت أبياتاً في ذلك.

فقلنا: هاتِها، فأنشد:

لما جفاني الحبيبُ وامتنعتْ
عني الرسالاتُ منه والخبرُ
واشتدّ شوقي فكاد يقتلني
ذكرُ حبيبي، والهمُّ والفِكَرُ
دعوتُ إبليسَ ثم قلت له
في خَلْوةٍ، والدموع تنحدُر
أما ترى كيف بَليتُ وقد
أقرح جفني البُكاءُ والسهرُ؟
إنْ أنت لم تُلْقِ لي المودّة في
صدر حبيبي وأنت مقتدرُ
لا قلتُ شعراً، ولا سمعتُ غِناً
ولا جرى في مفاصلي السَّكَرُ

ولا أزالُ القرآنَ أدرسُه
أروح في درسه وأبتكرُ
وألزمُ الصوم والصلاة ولا
أزالُ دهري بالخير آتمرُ
فما مضت، بعد ذلك ثالثة
حتى أتاني الحبيبُ يعتذرُ
ويطلبُ الودّ والوصالَ على
أفضل ما كان قبل يهتجرُ
فيا لها مِنّةً لقد عظمتْ
عندي لإبليس مالها خطرُ![1]

أرأيت، بالله، ما أعظم ظرفه، وهو يتهدد شيخه أبليس ذلك التهديد الظريف الطريف أو ينصاع له ويحقق رغبته!.

● نُسكٌ موزور وحجٌّ غير مبرور.

(٣١) وكان أصدقاء أبي نواس حين يريدون معابثته يشيعون عنه أنه تنسّك وتاب عن شرب الخمر، وكان هذا يغيظه ويثيره عليهم فيقول:

قالوا: تنسَّكَ بعد الحجّ قلت لهم:
أرجو الإله، وأخشى طَيْزَناباذا [2]

(١) الديوان ص (٣١٣).
(٢) طيزناباذ: من أنزه المواضع بين الكوفة والقادسية ذات حانات وخمرها مشهورة.

مـــا أبْعَـــدَ النُّسْـــكَ مِن قَلْبٍ تَقَسَّمَـــهُ
قُـــطْرُبُّـــل، فَـقُـــرى بَنَّـــى فَكِـلْواذا[1]

(٣٢) أما حكاية الحج التي ذكرها أبو نواس فقد رُوِيَ أن سليمان بن نوبخت قال: خرجت للحج واستصحبت أبا نواس بعد امتناع منه ونفار؛ وشَرَط عليّ أن أتقدَّم معه الحاجّ إلى القاسمية فنقيم نشرب بطَيْزناباذ. فنزل على خمّار اسمه سرجس، فشرب يومه وليلته فلم يزل كذلك حتى ورد علينا أوائلُ الحجّاج، وحجّوا ثم عادوا. فرحلنا معهم إلى بغداد على أننا كنا حجّاجاً معهم[2].

(٣٣) أمّا قُطرُبُّل، فيُحكى أنه لما انصرف أبو نواس من مِصْرَ مرّ ـ في اجتيازه الشام ـ بحمصَ فرأى كثرة خمّاريها وجودة الشراب فيها وترك شاربيها كتمانَ شُربها، فأعجبه ذلك وكان قد طال بمصر حرمانُه منها. فأقام بها مدّة مُغتبقاً[3] ومُصطبحاً. وحين بلغ ضاحية بغداد عَدَل إلى قُطرُبّل وهو يقول: «ما قضيتُ حقَّ قطربل إن أنا لم أبطؤْ بها..» فأقام ثلاثاً حتى أتلفَ فضلةً كانت معه من نفقته وباع رداءً مُعْلَماً من أردية

(١) الديوان ص (٢٦ ـ ٢٧).
(٢) الخبر في الديوان ص (٢٦) الهامش (١). والقصيدة في الديوان ص (٧٧).
(٣) مغتبقاً، اغتبق: شرب الغبوق وهو ما يشرب بالعشيّ.

مصر، ولعله مما أهداه الخصيب إليه من طرائف. وقال عند انصرافه من قطربّل[1]:

طَربتُ إلى قُطربُّلٍ فأتيتُها
بألفٍ من البيض الصِّحاح وعَينِ[2]
فروّحتُ عنها مُعْسِراً غيرَ موسِرٍ
أُقَرطِسُ في الإفلاس من مائتينِ[3]
يقولُ ليَ الخمّار عند وَداعهِ
وقد ألبستْني الخمرُ خُفَّ حُنَيْنِ[4]
«ألا عِشْ بزَيْنٍ أينَ سرتَ مسلَّماً»
وقد رُحتُ منه ـ حين رُحتُ ـ بِشَيْنِ

(٣٤) ولأبي نواس في قطربّل وصية جديدة ظريفة تتعدى مذاق الخمر إلى سماعها. وهي تتميّز بما لوزنها المتقارب من تلك النبرة الموسيقية التي تجعل من حركة العاصرين وضجّة أرجلهم ما يُشبه حركات الرقص الإيقاعية. وهذه الوصية هي:

---

(١) أبو نواس: قصة حياته، عبد الرحمن صدقي، ص (١٨٥). الديوان ص (٨٦ ـ ٨٧).

(٢) البيض الصحاح: الدنانير: العَين: الذهب.

(٣) أقرطِس في الإفلاس: يقال: رمى فقرطس أي أصاب القرطاس. وهو يريد هنا أنه رمى بالمائتين من دنانيره فأصاب الخمر وعاد مُفلِساً.

(٤) خف حُنين: حنين إسكاف ساومه أعرابيّ بِخفيّن ولم يشترِ فغاظه فطرح خُفية فاستلبها الأعرابي خُلسة وجاء بهما إلى الحَي فذهب مثلاً.

خــليــليَّ بــالله لا تــحــفِــرا
لــيَ الــقــبــرَ إلا بــقــطربُّــل
خــلال المعــاصِــر بين الـكــروم
ولا تُــدنيــاني من السُّــنبُــلِ
لــعــلّيَ أســمــعُ فــي حــفــرتي
ـ إذا عُصِرتْ ـ ضجيجَ الأرجُـلِ[1]

(٣٥) وقد رأوا أبا نواس بِقُطْرُبُّل وفي يده شراب، وعن يمينه عنقود، وعن يساره زبيب، فقيل له: ما هذا؟ قال: آبنٌ وأبٌ وروح القدس![2].

● القدح الشاكي.

(٣٦) وإنه، لِظرفه، ليشفق على عذاب القدح من طول نوم الندمان ووحشته فيوقظهم ليحنوا عليه ويسعدوه بمعاطاة خمره ويسعدوا أنفسهم بِمُلَح النوادر والفكاهات:

يـا إخـوتي! ذا الصبـاحُ، فاصْطَبِحـوا
فـقـد تغنَّـت أطيـارُه الـفُـصُـحُ[3]
هبـوا خـذوهـا، فقـد شكـانـا إلى الـ
إبــريـق من طــول نــومـنـا القــدح

(١) ألحان الحان: عبد الرحمن صدقي ص (٤١٨). الديوان ص (١٧).
(٢) البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، المجلد الرابع ص (١٤٨).
(٣) اصطبحوا: اشربوا الصَّبُوح ـ الفُصُحُ: جمع الفصيح.

صِرْفاً إذا شجَّها المِزاجُ بِأيـ
ـدي شاربيها تولَّدَ الفرحُ[1]
حتى تُريك الحليم ذا طَرَبٍ
يَهُزُّه في مكانه المَرَحُ[2]

● **الديك يستحيل حماراً.**

(٣٧) وإمعاناً منه في المجون الظريف، يرى الصوم سجناً ويَصيح مطالباً بالشراب حتى يتخبَّل عقله فيحسب الديك حماراً:

مَنَع الصومُ العُقارا
وزَوَى اللهوَ، فغارا[3]
وبَقينا في سجون الـ
ـصَّوْم لِلْهَمِّ أسارى
غيرَ أنّا سَنُداري
فيه مَن ليس يُدارَى
نشربُ الليلَ إلى الصُّبْـ
ـحِ صغاراً وكباراً
ونُغنّي ما اشتهيناهُ
من الشعر جهارا

(١) شجَّ الشرابَ: مَزَجه.
(٢) الديوان ص (٤٤).
(٣) زوى اللهوَ: نحّاه وأبعدَه.

إســقــنــي حــتــى تــرانــي
أحــســبُ الــديــك حــمــارا[1]

● اللص الظريف:

(٣٨) وهل ترى أظرف منه وهو يصوّر نفسه ينجو من سطوة اللصوصِ العُتاةِ، وتسلبه الخمر كل ما يملك وتتركه مترنحاً!:

نجــوتُ من اللصّ المُغيــرِ بسيـفــهِ
إذا مــا رمــاهُ بــالــتِّجــار سبيــلُ[2]
وسَلَّطتُ خَمّــاراً عــليّ بخــمــرة
فــراح بــأثــوابي ورحــت أميــلُ[3]

● أبو نواس يتزوج!!

(٣٩) وكان أبو نـواس بطبعـه شديـد النفور من الـزواج. ويُـروى أنّ أهله قَدِمـوا عليه البصـرة يعذلـونه على سيـرته، ويقولون له: «يا هذا! إنه قد نَفَدَ عمِرك وساءَ عملُك، فلو تزوّجت امرأة من أهل بيتك رجوْنا أن تقصّر عن بعض ما أنت فيـه!» فأبـى عليهم. فمـا زالوا بـه حتى زوّجوه جـارية[4]

---

(١) الديوان ص (٢٠٤).
(٢) التِّجار: جمع التاجر.
(٣) الديوان ص (٢).
(٤) الجارية: الفتيّة من النساء.

جميلة من آل بيته، فلمّا دخل بها أعرض عنها. فلمّا أمسى طلّقها. وأنشأ يقول فيها:

صاحبةَ القرقر(١) لا تشغبي
تحملي طالقة واذهبي
مرّي، فكم مثلُكِ من حُرّة
رائعةٍ لم تَكُ من مطلبي
لا أُدخل الجُحْرَ يدي طائِعاً
أخشى من الحية والعقرب(٢)

(٤٠) ويُروَى أنه لم يتزوّجْها، وأنهم دسّوا إليه آمرأة، وقالوا لها: كلّميه. فجعلت تقول له: قد وجدتُ لك امرأة جميلة موسِرة، ولها دارٌ سَرِيّة كبيرة تجعلها لك. فقال لها: ويحك! لست أنتِ أدعى إلى الرشد من الله عزّ وجلّ، وقد دعاني إليه وأبَيْت، وليست المرأة التي تصفينها بأحسن من الحور العين، ولا الدار التي تذكرينها بأحسن من الجنة، وكل هذا قد بذله لي من هو أصدق منك، إذا ارعويت، فلم أقبلْ، فكيف أقبلُ منك أنت؟! ثم قال للدلّالة «الخاطبة» هذه الأبيات:

أقولُ لها لمّا أتتني تدلّني
على امرأةٍ موصوفةٍ بجمال:

---

(١) القرقر: ظاهرُ الوجه وما بدا من محاسنه.

(٢) الديوان ص (٣١٢) الهامش.

أَصَبْتِ لها، يا أختُ، فحلًا كما اشتهتْ
إذا أُغْفِلَتْ مني ثلاثَ خِلالِ

فمنهنَّ فُسْقٌ، لا يُنادَى وليدُه
ورِقَّةُ إسلام، وقِلَّةُ مالِ

ولَوْ أنّها في الحُسن كانت كيوسُف
وبلقيسَ، أو كانت كخطِّ مِثالِ[1]

وقالت: تزوّجني على مَهرِ درهمٍ
لقلتُ: أذهبي عَنّي فمَهرُكِ غالِ[2]

● **شعر الكنيف.**

(٤١) لقي أبو العتاهيةُ الشاعر الحسن بن هانيء، فقال له: أنتَ الذي لا تقول الشعر، حتى تؤتى بالرياحين والزهور فتوضع بين يديك؟ قال: وكيف ينبغي للشعر أن يُقال إلّا على هكذا؟! قال: أما إني أقوله على الكنيف[3]! قال أبو نواس: ولذلك توجد فيه الرائحة![4].

● **إفساد طريف.**

(٤٢) وحكى الصولي عن أبي العتاهية قال: لقيتُ أبا نواس

---

(١) خطّ مِثال: رسم تمثال. والمِثال: الحجر يُنقش عليه الرسم والسِّمة.
(٢) الديوان ص (٣١٢).
(٣) الكنيف: المرحاض.
(٤) العقد الفريد: ابن عبد ربه (٦/١٥١).

في المسجد الجامع فعذلتُه وقلت له: أما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تزدجر؟ فرفع رأسه إليّ وقال.

أتــرانــي يــا عــتــاهــي
تــاركـاً تــلك الــمــلاهــي؟
أتــرانــي مُــفْــسِــداً بــالــنُّسْـ
ــكِ عــنــد الــقــوم جــاهــي؟

قال: فوثب أبو العتاهية وقال: لا بارك الله عليك، وجعل أبو نواس يضحك.

قال: فلمّا الححتُ عليه بالعذل أنشأ يقولُ:

لـن تــرجِــعَ الأنــفُسُ عن غــيِّــهــا
مــا لـم يـكـنْ مـنـهـا لـهـا زاجـرُ

قال: فودِدْتُ أني قلتُ هذا البيتَ بكلّ شيء قلتُه![1] أترى كيف جعلَه ظرفه يمزج الهزل بالجد!.

● عبثه بشيخه أبي عبيدة.

(٤٣) وكان أبو نواس مولَعاً بمعابثة شيخه أبي عبيدة مَعمر ابن المثنّى النحوي. فكتب يوماً بخط جليل على السارية التي يجلس إليها أبو عبيدة:

---

(١) وَفيات الأعيان: ابن خلّكان (١٠٢/٢). الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني (١٠٣/٤).

صلَّى الإلـهُ على لـوطٍ وشيعتِـه
أبـا عُـبيـدةَ قـل بـالله: آمـينـا

فـأنتَ عنـدي بـلا شـك زعيـمُهـمُ
منـذ احتلمت وقـد جـاوزت ستينـا

فلما رآه أبو عبيدة قال لبعض أصحابه: أمحُـهُ. قال: لا أناله، قال: ويحك أصعد فوقي وحُكَّهُ. ثم ركع وارتفع على ظهره ليحكه ويمحـوَه، فلما ثَقُـل عليه قـال: أوجز. قـال: حَككْتُه ولم يَبـقَ إلا «لوط» فقال: ويحك هذا هو المقصود. فمحاه. فلما جلس قال: والله ما أتهم بهذا إلا الخبيث الماجن المتهتّك ـ يعني أبا نواس ـ قالوا: فبلغ قوله أبا نواس فحلف أنه لم يفعلْ ذلك، فقبل يمينه[1]!

(٤٤): قال أبو عبد الله الجمّاز[2]: كنا في حلقة أبي عبيدة فوجدنا فيها رقاعاً في كل رقعة منها مكتوب:

أمـرَ الأمـيـرُ بـأخـذِ أولاد الـزِّنـا
فـتفـرّقـوا لا تُـؤخـذوا فتُـعَـاقَـبُـوا

---

(١) وفيات الأعيان: ابن خلّكان (٢/١٠٠) وأبو نواس: السيد محسن الأمين ص (٨٧) نقلاً عن محاضرات الراغب. المحاسن والمساوىء: البيهقي ص (٦٠٢).

(٢) أبو عبد الله محمد بن عمرو الجمّاز: ماجن من أصحاب النادرة بالبصرة من أسرة الشاعر سَلم بن عمرو الخاسر. نشأ في البصرة رفيقاً لأبي نواس وإن كان أكبر منه سناً. وكانا يجلسان معاً إلى أبي عبيدة.

فقال أبو عبيدة: من فعل هذا، لعنه الله؟ فقال أبو نواس: لو علمتُ من فعل هذا لأهجونّهُ! فضحك أبو عبيدة وقال: ومحترسٍ من مِثله وهو حارسُ![1].

(٤٥) جاء أبو نواس في يوم شديد الحرّ بناطف فألقاه على سارية أبي عبيدة، وجاء أبو عبيدة فاتّكأ على قفاه إلى السارية. فلما انتصف النهار واشتدّ الحر ذاب الناطف فسال على وجه أبي عبيدة وعينيه ولحيته وشاربه، فقال: قبّح الله الماجنَ الخبيث أبا نواس، فإن هذا من عمله[2].

● **عيدٌ نادر.**

(٤٦) واسمعْه يقارن مجالسَ الخاصة بمجلسه الماجن مقارنة حافلة بالظرف والدّعابة:

يا فرحةً جاءتْ مع العيدِ
وَفَى الذي أهوى بموعودِ
حتى إذا الراحُ جَرَت بيننا
أمِنتُ من خُلفٍ وترديد[3]
ظلَّ وَليُّ العهدِ في خَطبة
وظَلْتُ بين الراحِ والعودِ[4]

(١) أبو نواس: السيد محسن الأمين ص (٨٨).
(٢) ألحان الحان. عبد الرحمن صدقي ص ٢٨٩.
(٣) الخُلف: الإخلاف ـ الترديد: الصدّ والمنع.
(٤) يريد بالخطبة: خطبة العيد.

صار مُصلّانا أباريقنا
ونَحْرُنا بنتَ العناقيدِ[1]
للناسِ عيدٌ عمَّهمْ واحدٌ
وصار لي عيدانِ في عيدِ[2]

● **غزل عجيب:**

(٤٧) هجا أبو نواس «بَنان» جارية معاصِره «اليويو»:[3] هجاءً ظريفاً ضمّن صدر كُلِّ بيت فيه غزلاً ولكنه جعل في العَجُز (الشطر الثاني) تشبيهاً يقلبُ ذلك الغزل هجاءً:

وجهُ بَنان كأنه قَمرٌ
يلوحُ في ليلةِ الثلاثينِ
والخدُّ من حُسنِه وبهجتهِ
كطاقة الشوك في الرياحينِ
مُبادِرٌ من جبينها نَسَمٌ
في الطيب يحكي مباول العِين[4]
والفمُ من ضيقهِ إذا ابتسمتْ
كأنه قصعَةُ المساكينِ

(١) نحرُنا: يشير إلى الضحية في عيد الأضحى.
(٢) الديوان ص (٣٤٤).
(٣) اليويو: هو أحد من هجاهم أبو نواس.
(٤) العين: البقر الوحشي.

لـهـا ثَـنَـايَـا تـحكـي ببـهـجـتـهـا
وحـسـنِـهـا ألـسُـنَ الـمـوازيـن
وحسبُـك الحسـنُ في ضـفـائـرهـا
مثـل الشمـاريـخ في العـراجين[1]
والـجـيـدِ زَيْـنٌ لـمـن تـأمَّـلَه
أشـبـهُ شيء بـجـيـدتِـنّـيـن[2]
ومَـنكـبـاهـا في حُـسْن خَـلقِـهـمـا
فـي مـثـلِ رمّـانـتيـن مـن طـيـنِ
والـسّـاقُ بـرّاقـةٌ خـلاخِـلُـهـا
كـأنـهـا مِـحـرَكُ الأتـاتـيـن[3]
تـفـتِنُ مـن راحـهـا بلَـحْظَـتِهـا
كـأنـهـا لـحـظة الـمـجـانـيـن
وأحـسـنُ الـنـاس مـحـجِـراً أنـفـاً
أشـبَـهُ شيء بـمِـحـجـر الـنـون[4]
وأقـربُ الـنـاس في الـخُـطا خَفَـراً
خـطوتُهـا مِن نَسـا إلى الـصين[5] •

(١) العراجين: جمع العرجون: أصل العِذق إذا يبس واعوجّ.
(٢) التِّنين: حية عظيمة.
(٣) الأتاتين: جمع الأتون كالتّنور وهو أخدود الجير والجص ونحوه.
(٤) النون: الحوت.
(٥) نسا: اسم بلد.

ولدتِ من أسرة مباركَةٍ
لا عيبَ فيهم... من الشياطين[1]

● رأسٌ قِرطاسٌ.

(٤٨) قال الجمّاز: أراد أبو نواس أن يكتب إلى إخوان له دعاهم، فلم يجد قرطاساً يكتب فيه؛ فكتب في رأس غلام له أصلع ما أراد، ثم قال فيه: فإذا قرأتم كتابي فأحرقوا القِرطاس. فضحكوا منه وتركوا للغلام جلدة رأسه[2].

● نَوْح أمك عليك أحسن.

(٤٩) حضر الجمّاز مع أبي نواس مجلس قينة. فأقبل الجماز يمالحها ويمازحها، وأبو نواس ساكت، فقال الجماز:

أبو نواس جِذْرُهُ شِعْرُهُ
وجِذْرُنا حُسْنُ الحِكاياتِ
فجذرنا أكثرُ من جذره
مَدّاً على أهلِ المروءات

فقال أبو نواس:

صَدَقْتَ لا نُنكر هذا كما
أمُّك رأسٌ في المناحات

(١) الديوان ص (٥٤٠).
(٢) جمع الجواهر: الحصري القيرواني (٢٤٩).

فأقبلت القنية على أبي نواس، وغنّت. فقال لها الجمّاز: ما سمعتُ والله أحسن من هذا! فقال أبو نواس: ولا نُواحُ أمّك إلا أن يكون عليك فإنه والله أحسن! (وأمّه أذيْن النائحة)(١).

● أمَرَضاً ومعابثة؟!

(٥٠) لما مرض أبو نواس دخل عليه الجمّاز يعوده. فقال له: اتّقِ الله! فكم من مُحصَنَةٍ قد قذفت، ومن سيئة قد اقترفت، وأنت على هذه الحال، فتُب قبل الموت. فقال: صدقتَ، ولكنْ لا أفعلُ! قال: ولِمَ؟ قال: مخافة أن تكون توبتي على يدِ واحدٍ مثلك(٢).

(٥١) مرّ عثمان بن حفص الثقفي بأبي نواس وقد خرج من عِلّة وهو مُصْفَرّ الوجه، وكان عثمانُ أقبحَ الناس وجهاً. فقال له عثمان: مالي أراك مُصفرّاً؟ فقال أبو نواس: رأيتك فذكرت ذنوبي! قال عثمان: وما دخلُ ذنوبك عند رؤيتي؟ فقال: خفتُ أن يعاقبني الله فيمسخني قرداً مثلك!(٣).

---

(١) جمع الجواهر: الحصري القيرواني ص (٢٦).
(٢) جمع الجواهر. الحصري القيرواني ص (٢٤٩).
(٣) جمع الجواهر. الحصري القيرواني ص(١٦٥).

ظرف أبي نواس الكلامي

● كأن الفتى (أبا نواس) جُمع
له الكلام فاختار أحسنَه!»

ابراهيم بن سيّار النظّام
المعتزلي

● **الخمر بين الحرام والحلال.**

قد أجمع الناس على أن الخمر المحرَّمة في الكتاب هي «خمر العنب»، لأن الخمر إنّما حُرّمت لِعَرَض داخَلَها، فإذا زايلها ذلك العَرَض عادت حلالاً كما كانت قبل الغليان حلالاً وعينُها في كل ذلك واحدة، وإنما انتقلت أعراضُها من حلاوة إلى مرارة، ومن مرارة إلى حموضة كما ينتقل طعم الثمرة إذا أينعت من حموضة إلى حلاوة، والعين قائمة. فهذه الخمر بعينها المجتَمعُ على تحريمها. وأصحابُ النبيذ إنما يدورون حولها ويتعللون أنهم يشربون ما دون المُسْكِر، ولا لَذّة لهم دون موافقة المُسكر. وللخمر آفات وخبائث، أوّلها وأعظمها أنها تُذْهِبُ العقل، وتحسّن القبيح وتقبّح الحسن. قال أبو نواس.

اسقني حتى تراني
حَسَنٌ عندي القبيح

وقال أيضاً:

اسقني صِرْفاً حُمَيّاً
تترك الشيخ صَبيّا
وتُريه الغَيَّ رُشداً
وتُريه الرُّشدَ غَيَّاً[1]

● فما كان موقف أبي نواس الظريف من ذلك كُله؟ أما أبو نواس فلم يكن يعنيه من ذلك الجدل الكلامي الفقهي وتلك الاحتجاجات شيء. إنما همّه المعاقرة والمنادمة. وهو لا يرعوي، في سبيل ذلك كله، عن كل حجة، وتأويل كل فتوى بطريقته المازحة الفَكِهَة وظرفه الشيّق.

● الحرام اللذيذ.

(١) إننا نراه، مثلاً، يعالج المسألة معالجة طريفة وظريفة خاصة. فهو يجعل الخمر نوراً يبدد عتمة الظلام، وتُنافِس نوحاً في القِدَم والأصالة، ودنانها المصطفّة شيوخ مُعمّمون. فإذا ما سُكبت في الأقداح سالت ضوءاً منيراً وتدلّى حَبابُها كالدّرر، فإذا هي لذيذ العيش. فإن قالوا إنه حرام، وافقهم على قولهم

(١) العقد الفريد. ابن عبد ربه (٨/ ٤٤ وما بعدها).

ولكنه يؤكّد أنه الحرام اللذيذ. وفي هذا يقول أبو نواس[1].

أَلَاخُذْها كمصباحِ الظلامِ
سليلةَ أسودٍ، جَعْدٍ، سُخامِ[2]
مُعَتَّقَةً كما أوفى لِنُوحٍ
- سوى خمسين عاماً - ألفُ عامِ
أشَبِّهُها، وقد صُفَّتْ صفوفاً،
بأشياخٍ مُعَمَّمَةٍ قِيامِ
ترى فيها الحَبَابَ وقد تدلّى
كمثل الدرّ شلّ من النظام
فخذها إن أردتَ لذيذ عيشٍ
ولا تعدِلْ خليليِ بالمُدام
وإن قالوا: «حرامٌ» قل: «حرامٌ،
ولكنّ اللذاذة في الحرام»

أرأيت مدى ظرفه وقد حول مجلس المنادمة إلى مجلس مذاكرة وجدل، وكيف جعل الدنان شيوخاً معممّين كأنهم رجال الفقه وأهل الجدل وأرباب الكلام؟!.

* * *

(١) الديوان ص (٦٩٣).

(٢) الجعد: عكس السَّبط. السُّخام: السواد، ويريد به العنب الأسود.

● جَدَل طريف واحتجاج ظريف.

(٢) ● لكنّ هـذا الرجـل العابث، الآثم، العاصي، كان على الرّغم من ذلك كله، مؤمناً صادقاً، وفقيهاً عريقاً، ومتكلّماً أصيلا. وصفه القدماء، فقالوا: «كان أبو نواس عالماً فقيهاً، عارفاً بالأحكام والفُتيا، بصيراً بـالإختلاف، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه، ومُحْكَمَه ومتشابهه»[١] وقال عنه النظام المعتزلي: «هذا الذي جُمع له الكلام فاختار أحسنه»[٢].

(٣) أنشد أبو نواس في النظام:

قـولا لإبـراهـيـمَ قـولاً هِـتْـرا[٣]
غَـلَبْـتَـنـي زَنـدقـةً وكُـفـراً
إن قلت: مـا تشربُ؟ قـال: خمـرا
أو قـلـت مـا... ...
أو قـلـت: مـا تـتـرك؟ قـال: بِـرّا
أو قلت: مـا تـرهبُ؟ قـال: بحـرا
أو قـلـت: مـا تقـول؟ قـال: شـرّا
أَصْـلاهُ رَبّـي لـهـبـاً وجـمـراً[٤]

---

(١) طبقات الشعراء. ابن المعتز ص (٢٠١).

(٢) المحاسن والمساوىء. البيهقي، ص (٤٢٩).

(٣) الهِتر: السَقَطَ من الكلام والخطأ فيه.

(٤) الديوان ص (٥٣٠).

(٤) وكيف لا يفعل أبو نواس ذلك، وهو، بعلمه وفقهه وإيمانه، قد كان مطمئن النفس إلى أنه مهما يكن من ترك الفرائض وشربه ومجونه فإنّ هذه المعاصي جميعاً غير مخلّدات له في النار. إذ لا يكون خلود في النار لغير الكُفّار. وما هو بكافر. أما هو فكان شديد الإطمئنان إلى حِلْم العزيز الجبار، عظيم الرجاء في عفوه، وحسن غفرانه، ورحمته التي وسعت كل شيء. فاسمع ردّه الظريف على وعيد النّظام وفرقته[1]:

يا ساحرَ الطّرْف أنتَ الدهرَ وَسْنان
سرُّ القلوبِ لدى عينيكَ إعلانَ
إذا امتحنتَ بطرْفِ العين مكتَتَماً
ناداكَ من طْرِفه بالسّرتبيانُ
تبدو السرائر إنْ عيناك رنّقتا
كأنما لك في الأوهام سلطانُ[2]
مالي ومالَك قد جزّأتني شِيَعاً
وأنتَ مما كساني الدهر عُربانُ[3]

---

(١) الديوان ص (١٢٦).

(٢) السرائر مفردها: السريرة. رنقتا: أدامتا النظر ـ الأوهام: خطرات القلب: يريد أنه امتلك أسرار القلوب بما لسحره من نفوذ ولجماله من سلطان.

(٣) جزّاتني شِيعاً: تركت نفسي موزّعة مترددة بين اليأس والأمل والخوف والرجاء بينما الحبيب خالٍ من ذلك كله.

أراك تعملُ في قتلي بلا تِرَةٍ
كأنَّ قتليَ عند الله قِربانُ[1]
غادِ المُدام وإن كانت محّرمة
فللكبائر عند الله غفرانُ

أتسمع هسيسَ أنفاس المؤمن الصادق وهو يرفع صلاته ودعاءه إلى الله ربّه ورب العالمين الذي يسود كل شيء ويَعلَم كل مُكْتَتَم، حتى خطرات القلب!؟.

وانتبه إلى التورية الغزلية الظرفية التي تقارب توريات الصوفية وهم يناجون ربّهم.

(٥) بل إنه ليتمادى في ظرفه الكلامي عندما يردّ عليهم بأن الله يومَ يُنادي الأنبياء والرسل إلى موقف الحساب لن يكون متفرّغاً ليهتّم بكائن نَكرة تافِه مثله. قال أبو نواس[2]:

من أنا في موقفِ الحساب إذا
نودِيَ بالأنبياءِ والرُّسُل؟
ذلكَ يومٌ يَجلُّ عن خطري
فما لمثلي هناك من أَمَل

(١) التِرة: الثأر. القربان: ما يتقرب به إلى الله.

(٢) الديوان ص (٧٢٣).

هُنْتُ على الخـالـقِ الجَليـلِ فمـا
يَـنْـظُرُ فـي قِـصتـي ولا عـمـلي

(٦) رويَ أن أبا نواس صحب في صباه إبراهيم النّظام ثم افترقا، وكان النظام، خلال ذلك، قد اعتنق مبادىء المعتزلة وصار على رأس فرقة منهم. فلما التقيا بعد هذا دعا النظام النواسي إلى اعتناق مذهبه ولامه على شرب الخمر، ومجاهرته بالعصيان، وخوّفه من عاقبة ارتكاب الكبائر لأن مرتكب الكبيرة، في رأي المعتزلة، مخلّد في النار. فعرّض به أبو نواس في هذه القصيدة[١]:

دعْ عنـكَ لـومي فـإنّ اللومَ إغـراءُ
وداوِني بـالتي كـانتْ هي الـداءُ[٢]
صفـراءُ لا تنزِلُ الأحـزانُ سـاحتَهـا
لـو مسَّهـا حـجـرٌ مسّتْـهُ سَـرّاءُ
قـامتْ بـإبـريقهـا، والليـلُ معتكِـرُ
فـلاحَ من وجههـا في الـبيت لألاءُ
فـأرسلتْ من فمِ الإبـريقَ صـافيـةً
كـأنمـا أَخْـذُهـا بـالعينِ إغـفـاءُ

(١) الديوان ص (٦) والخبر في هامش الصفحة نفسها.
(٢) يقصد: أن إدمان الخمر هو نفسه داء لا يُتداوى منه إلا بالشرب. وخاصة حين تنقطعُ الخمر عن المدمن فيشعر بصداع متواصل لا يزيله غير شرب كأس.

رقَّتْ عن الماءِ حتى ما يلائمُها
لطافةً، وجفا عن شكلها الماءُ
فلو مزجتَ بها فوراً لمازَجَها
حتى تولّدَ أنوارٌ وأضواء
دارتْ على فِتيةٍ دانَ الزمانُ لهمْ
فما يصيبُهُمُ إلا بما شاؤوا
لتِلك أبكي ولا أبكي لمنزلةٍ
كانت تحُلّ بها هندٌ وأسماءُ
حاشا لدُرّةَ أن تُبنى الخيام لها
وأن تروحَ عليها الإبْلُ والشاء[1]
فقُلْ لمن يدّعي في العلم فلسفةً
حفظتَ شيئاً وغابت عنكَ أشياءُ
لا تحظُرِ العفوَ إن كنتَ امرءاً حَرِجاً
فإنّ حَظْرَكَهُ في الدين إزراءُ[2]

إن ظرف أبي نواس ليتجلى هنا قوياً واضحاً: فهو أولاً

(١) مقارنة بين البكاء على الخمر والبكاء على الأطلال.
(٢) لا تحظر العفو: لا تمنعه ـ حرِجاً: متشدداً مضيّقاً من التحريج وهو التضييق. حظركه: حظرك إياه ـ إزراء: من أزرى بفلان أي أدخل عليه العيب، وأزرى بالأمر أي تهاون به محتقراً ومُنتَقصا. فالإزراء: العيب والتهاون.

يجعل الخمر مقارنة للماء في الكثافة فيرى أنها ألطف جسماً من الماء مناقضاً بذلك الحقيقة الطبيعية والكيميائية؛ وهو ثانياً: يُجِلّ الخمر عن أن تكون مادّة مرذولة معيبة فيصورها طاقة من نور أي طاقة لطيفة غير مادية؛ ثم يداعب النظام المعتزلي عندما يتلاعب بمسألة القدرة التي قالت بها المعتزلة ويحيلها على الندمان وحدهم. ويتجلى ظرفه الكلامي أخيراً في ذلك الجدل الفقهي الكلامي المحكم عندما يعرّض بعلم النظام مظهراً عيبَه في تجاهل وعد الله بالتسامح والرحمة والغفران وقَصْره أمر ربّه على الوعيد والتهديد بالعقاب.

(٧) قال المفضّل الضّبي للخليفة هرون الرشيد: أخبرني يا أمير المؤمنين عن بيت أَوَّلُهُ أكثُم بن صيفي في إصابة الرأي وآخره بقراط الطبيب في معرفته بالداء والدراء؟ فقال هرون: ما هو؟ قال: هو بيت الحسن بن هانىء حيث يقول:

دعْ عنكَ لومي فإن اللوم إغراءُ
وداوني بالتي كانت هي الداء

قال: صدقت[١].

● الله قد يعفو عن اللص.

(٨) قال ابن قُتيبة: خرج أبو عيسى جبريل بن أبي عيسى

(١) العقد الفريد ـ ابن عبد ربه ٦/١٩٦.

إلى مُتَنَزَّه له بالقُفص[1] ومعه الحسن بن هانىء، في آخر شعبان. فلما كان اليوم الذي أوفى به الشهر ثلاثين يوماً، قيل له: إنّ هذا يوم شكّ، وبعضُ أهل العلم يصومه احتياطاً. قال أبو نواس: لا عليك! ليس الشكّ حُجّةً على اليقين. حدّثنا أبو جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صوموا لرؤيته وأفطِروا لرؤيته» ثم قال.

لو شئتَ لم نبرحْ من القُفصِ
نشربُها حمراء كالحصّ
نسرقُ هذا اليوم من شهرنا
والله قد يعفو عن اللص![2]

● الحديث المبكي.

(٩) وها هو يبكي بكاءً طريفاً ظريفاً قل نظيره:

بكيتُ وما أبكي على دِمَنٍ قفرِ[3]
وما بيَ من عشقٍ، فأبكي من الهجر
ولكنْ حديثٌ جاءنا عن نبيّنا
فذاك الذي أجرى دموعي على النحرِ

---

(١) القُفْص: قرية قريبة من بغداد: ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان.

(٢) العقد الفريد. ابن عبد ربه (١١٢/٨) بدائع البداثة. علي بن ظافر الأزدي ص (٣٣٣).

(٣) الدِّمَن: مفردها دمنة: آثار الدار والناس بعد ارتحالهم.

بتحريمِ شُربِ الخمر، والنهيُ جاءنا
فلما نهى عنها بكَيْتُ على الخمر
فأشربُها صِرفاً وأعلم أنني
أُعزَّرُ فيها بالثمانين(1) في ظهري(2)

● تُحرّم في الدنيا وفي الجنة منها!!

(١٠) ويُنشد مستغرباً تحريم الخمر ومحتجاً عنها هذا الاحتجاج الطريف الظريف:

هذه الممنوعُ منها
وأنا المحتجّ عنها
ما لها تُحرّمُ في الدّنْيا،
وفي الجنة منها!!(3)

● صيام طريف وإفطار ظريف.

(١١) وكان أبو نواس مؤمناً ـ كما رأينا ـ يؤدي فروض الإيمان، فكان يصوم رمضان، ولكنّ ظرفه كان يدفعه إلى الاستعاذة من رمضان مثل هذه الاستعاذة الظريفة، وذلك في مثل قوله في رمضان(4):

(١) أعزّزر فيها: أُضرب ـ والثمانين: حدّ شارب الخمر.
(٢) الديوان ص (٣٦).
(٣) الديوان ص (١٧٠).
(٤) الديوان ص (١٩٤).

اسـتَـعِـذْ مـن رمـضـانِ
بِـسُـلافـات الـدِّنَـانِ
واطـوِ شـوّالاً عـلى القَـصـ
ـفِ وتغـريـدِ الـقـيـان
ولـيـكُـن فـي كـلّ يـومٍ
لـك فـيـه سـكـرتـان
مَـنَّ شـوّالٌ عـلـيـنـا
وحـقـيـقٌ بـامـتـنـان
جـاءَ بـالـقـصـفِ وبـالـعـزْ
فِ وتـخـلـيـع الـعـنـان
أوفـقُ الأشـهُـرِ لـي
أبـعـدهـا مـن رمـضـانِ!

(١٢) وقوله الظريف فيه أيضاً:

عـاذلـي فـيـهـا أطِـعْـنـي
وأقِـلَّ الآن لـومـي
واشـرَبِ الـراح، ودعـنـي
مـن صـلاةٍ كـلّ يـومِ
وإذا مـا حـانَ وَقْـتٌ
لـصـلاةٍ أو لـصـومِ
فـارفـعِ الـصـومَ بـشُـربٍ
وأمـزجِ الـخـمـرَ بـنـومِ

أبـداً مـا عِـشـتَ خـالِـفْ
دَأبَ قـومٍ بَـعْـدَ قـومِ[1]

(١٣) أو قوله هذا الطريف شامتاً بانتهاء رمضان وعودة شوّال[2]:

لقـد سرّني أنّ الهـلالَ غُـدَيّـةً[3]
بـدا ـ وهـو ممشـوقُ الخيـال دقيقُ ـ
أضـرّتْ بـه الأيّـامُ حـتـى كـأنّـهُ
عِـنـانٌ لـواه بـاليـديْـنِ رفـيـقُ
وقفتُ أعـزّيـه، وقـد دقّ عـظمُـهُ
وقـد حـانَ من شمس النهـار شـروقُ
لِـيَـهْـنِ وُلاةُ اللهـوِ أنّـك هـالـك
فـأنتَ بمـا يجـري عليك حقيقُ[4]
وإنّي بشهـر الصومِ إذ بـان[5] شامتٌ
وإنّـك يـا شـوّال لـي لـصـديـقُ
فقـد عاودَتْ نفسي الصبـابـةُ والهـوى
وحـانَ صَـبـوحٌ بْـاكـرٌ وغَـبـوقُ

(١) الديوان ص (٢٠٥).
(٢) الديوان ص (٢٠٥).
(٣) غُدَيّة: تصغير غدوة.
(٤) حقيق: جدير.
(٥) بان: بَعُدَ.

● **فتوى عجيبة.**

(١٤) واستمع الآن إلى هذه الفتوى الطريفة الظريفة التي طالما أضحكت معاصريه بما فيها من فكاهة ودُعابة. قال أبو نواس:

قُلْ للعذولِ بحانةِ الخمّارِ
والشربُ عند فَصاحةِ الأوتارِ:
إني قَصَدْتُ إلى فقيهٍ عالمٍ
متنسِّكٍ، حَبْرٍ من الأحبارِ
متعمِّقٍ في دينه، مُتفقِّهٍ
مُتبَصِّرٍ في العلم والأخبارِ
قلتُ: النبيذ تُحلُّه؟ فأجاب: لا
إلّا عُقاراً ترتمي بِشَرارِ
قلت: الصلاة؟ فقال: فرضٌ واجبٌ
صَلِّ الصلاةَ، وَبِتْ حليفَ عُقار
إجمع عليك صلاةَ حولٍ كاملٍ
من فرضِ ليلٍ فاقْضِه بنهارِ
قلت: الصيامُ؟ فقال لي: لا تَنْوِه
واشدُدْ عُرَى الإفطارِ بالإفطار
قلتُ: التصدّق والزكاةُ؟ فقال لي:
شيءٌ يُعَدُّ لآلةِ الشُّطّار

قلتُ: المَنَاسِكُ إن حَجَجْتُ؟ فقال لي:
هـذا الـفـضـولُ، وغـايـةُ الإدبـار

قلتُ: الـطُّغاة؟ فقـال لي: لا تَغْـزُهُمْ
وَلَـوَ أَنّـهـم قـرُبـوا مـن الأنـبـارِ

قلت: اعتـزمتُ. فما تـرى في عازب
مُـتـغـرّبٍ، مـتـقـاربِ الأسـفـارِ

فـدنـا إليّ وقـال: نُصْحُـكَ واجبٌ
زَيّـنْ خِـصـالَـكَ هـذه بِـقـمـارِ[1]

(١٥) وها هو بدورِه يُفتي هذه الفتوى الظريفـة التي تدلّ على مدى إيمانه العميق بالله وعفوه على الرّغم من كل ذلك المجون. قال أبو نواس[2]:

أتـركِ الـتـقـصـيـرَ فـي الـشُّـرْ
بِ وخُـذْهـا بـنـشـاطِ

مـن كُـمـيْـتٍ كَـسَـنـى الـبـرْ
قِ، أضـاءتْ فـي الـبـواطـي[3]

لِـمْ - وعـفـوُ الله مـبـذو
لٌ غـداً عـنـد الـصـراط[4]

(١) الديوان ص (٢٠٠ - ٢٠١).
(٢) الديوان ص (١٨١).
(٣) البواطي: جمع الباطية وهي وعاءٌ للخمر.
(٤) الصـراط: جسر ممـدود على جهنم يعبـره أهـل الحشـر؛ وقـد ورد في الأحاديث نعتُه.

خُلِقَ الغُفرانُ إلا
لِامرئٍ في الناس خاطي[1]

(١٦) بل إنه ليُمعنُ في تظرّفه عندما يقارنُ هذه المقارنة الحَيّة الظريفة بين الحرام والحلال، وبين اقتران الكبيرة ثم التوبة وسعة مغفرة الله. قال أبو نواس[2].

اسقني، واسقِ يُوسُفا
مُزَّةَ الطعم، قَرقَفا[3]
دعْ من العيش كلَّ رَنْـ،
قٍ[4] وخذْ منه ما صفا
وضعِ الزِّقَ جانباً
ومع الزّق مُصْحفا
واحسُ من ذا ثلاثةً
وَاْتلُ من ذاك أحرفا
خيرُ هذا بِشَرٍّ ذا
فإذا الله قد عفا

---

(١) خاطي: خاطىء.

(٢) الديوان ص (١٢٠).

(٣) القرقف: من أسماء الخمر. وسُمّيَتْ كذلك لأن شاربها يقرقف إذا شربها أي يُرعد.

(٤) الرنق: الكدر.

فلقد فاز من مَحَا
ذا بذا عنه، واكتفى.

● **الخمر والطبائع.**

(١٧) ومِنْ ظريف شاعريته وطرائف عبقريته أنّ في كلامه أيضاً إلماماً بمبادىء الطبيعيات (أي علم الطبائع) التي كانت بسبيل الشيوع في أيامه.

فمن ذلك تصرّفه في الكلام عن الطبائع الأربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، في قوله هازلاً يستفتي طبيب الرشيد أبا عيسى جبريل بن بَخْتِيشوع في الخمر:

سألتُ أخي أبا عيسى
وجبريل له عقلُ
فقلتُ: الخمرُ تُعجبني
فقال: كثيرها قتلُ
فقلت له: فقدِّرْلي
فقال: وقوله فَصْلُ:
وجدتُ طبائع الإنسا
ن أربعةً هي الأصلُ
فأربعةٌ لأربعةٍ
لكل طبيعة رَطْلُ![1]

(١) الديوان ص (٦٠).

● **البارد الحار**

(١٨) ومن ذلك أيضاً قوله هاجياً زهيراً المغني[١]:

قــل لــزهــيــرٍ إذا اتّــكــا وشــدا
أَقْــلِلْ أو اكْــثِــرْ فــأنــتَ مــهــذارُ
سَــخُــفْــتَ مــن شــدّة الــبــرودة
حتّى صــرت عنــدي كــأنّــك النــارُ
لا يعجــبِ الســامعــون من صــفتــي
كــذلــك الــثــلجُ بــاردٌ حــارُ

ففي هذا التفاتٌ إلى ما كان يُروى من أقوال أهل الهند أن الشيء إذا زاد في البرد تحول إلى الحرارة بدليل أن الصندل الأبيض إذا أُفرِط في حَكّه عاد حاراً مؤذياً.

● **الجزء الذي لا يتجزأ.**

(١٩) ومن قَبيل ذلك قوله يصف ما صيّره إليه تبريح العشق من النحول والضنى:

يــا مَــنْ تَــمَــرَّهَ عــمــدا
فــكــان لــلــعــيــنِ أمْــلا[٢]

---

(١) الديوان ص (٥٤٥)/ جمع الجواهر: الحصري القيرواني ص (٧).
(٢) تَمرَّه: يُقال مَرِهَتْ عينُه كَفَرِح: خَلَتْ من الكُحْل.

وفـي الـشُّـعُـوثَـةِ أيـضـاً
فـكـان أحـلى وأحـلى![1]
أردْتَ أن تـزدريـك
الـعـيـونُ هـيـهـاتَ. كـلاّ
كَـمَـنْ أراد بـشـيءٍ
سـمـاجَـةً فـتـجـلّى؟!
يـا عـاقـدَ الـقـلـبِ مـنّـي
هـلاّ تـذكّـرتَ حَـلاّ
تـركـتَ جـسـمـي عـلـيـلاً
مـن الـقـلـيـل أقـلاّ
يـكـادُ لا يـتـجـزّا
أقـلَّ فـي الـلفظ مِـن لا
وقـد مُـلِـئْـتَ لـعـيـنـي
شُـحّـاً عـلـيَّ وبُـخْـلا
فـمـا تـرانـي لـوصـلٍ،
وإن هَـوَيْـتُـكَ، أهـلا[2]

وقد رووْا أن إبراهيم النظام المعتزلي قال له، لمّا أن سمع ذلك منه: «أنت أشعر الناس في هذا المعنى. والجزء الذي لا

(١) الشعوثة: من شَعِث الشَعَر. كان مغبّراً متلبّداً فصاحبه أشعث م شعثاء.
(٢) الديوان ص (٣٨٠).

يتجزّأ، منذ دهرنا الأول نخوض فيه، ما خرج فيه لنا من القول ما جمعته أنت في بيت واحد»[1].

● **الظريف يتزندق.**

(٢٠) قيل[2]: أدخل الفضلُ بن يحيى أبا نواس على الرشيد. فقال له الرشيد: أنت القائلُ:

عُتِّقَتْ في الدَّنّ حتى
هي في رِقّة ديني؟

أحسبُكَ زنديقاً؟ فقال أبو نواس: يا أمير المؤمنين! قد قُلْتُ ما يشهَدُ لي بخلاف ذلك. قال: وما هو؟ قال: قلت:

أيةُ نارٍ قَدَحَ القادحُ
وأيّ حدّ بلغ المازِحُ

فقال الفضل: يا سيدي! إنه يؤمن بالبعث ويحمله المجون على ذكر ما لا يعتقده.

(٢١) قال ابن منظور: لما وقع الخُلْفُ بين الأمين والمأمون، وخُطِبَ بمساوىء الأمين ومنها مجالسته أبا نواس

---

(١) أبو نواس: السيد محسن الأمين ص (٦٢) نقلاً عن ابن منظور. وأبو نواس: قصة حياته. عبد الرحمن صدقي ص (٦١).
(٢) المحاسن والمساوىء. البيهقي ص: (٢٣٤ ـ ٢٣٥).

واتهامه بالكفر وأنشدت أبياته الخمرية التي منها:

يـا أحمـدَ المُـرتَجَى في كـلّ نـائبـة
قُمْ سيـدي نَعْصِ جبّـارَ السمـاواتِ

جزع الأمين وأمر بقتل أبي نواس. فكلّمه فيه الفضل بن الربيع وغيره. فأطلقه. ولما أحضره للقتل أحضر الفقهاء، بعد أن جمعوا له كل من يحسده من الشعراء والفضلاء وغيرهم. ثم قيل له: ألست القائل: يا أحمدُ المرتجى في كل نائبة . . . إلخ.

قال: بلى! يا أمير المؤمنين! قال: كافر! ثم قال للفقهاء. ما تقول يا معشر الفقهاء والشعراء؟ قالوا: كَفَر، يا أمير المؤمنين! فقال أبو نواس: يا أمير المؤمنين! إن كانوا قالوا هذا بعقولهم فقبحاً لها وما أنقصَها! وإن كانوا قالوه بآرائهم فما أجهلَهم وأبعدَهم عن العقل! أيكونُ زنديقاً مقرّ بأنّ للسماوات جبّاراً؟ وهل للسماء من يجبرها؟ وهل بها كسر فاحتيج إلى أن تُجبر؟! قال: لا والله! ولقد صدقت. قم. فقام فأطلقه.

وقيل إنه قال له: يا أمير المؤمنين إجمع كلّ زنديق في الأرض فإن زعموا أن في السماء إلٰهاً واحداً فاضرِبْ عنقي، ولكنّي صحبتُ قوماً جُهّالاً لا يعرفون المزح والجدّ وأنا يا أمير المؤمنين الذي أقول:

قــد كـنـت خـفـتُـك ثـم أمّـنـنـي
مـن أن أخـافـك خـوفُـك اللَّهَ![1]

(٢٢) قال أبو نـواس: «دخلت على الأمين فقال لي: يـا حسنُ بن هانىء! إنّك زنديق! فقلت: يا أمير المؤمنين! وأنا أقولُ مثلَ هذا الشعر؟

أصلّي صـلاةَ الخمس في حين وقتِهـا
وأشهـدُ بـالتـوحيـدِ لله خـاضعـاً
وأحـسن غـسـلاً إن ركبـتُ جنـابـةً
وإن جـاءني المسكينُ لم أكُ مـانعـاً
وفي كـل عـام صـوم شهـر أُقيمُـه
ومـا زِلْتُ لـلأنـدادِ والشّـرك خـالعـاً
وإني وإن حـانتْ من الكـأس دعـوةٌ
إلى بيعـة السـاقي أَجَبْتُ مسـارعـاً
فـأشـربهـا صِـرفـاً على لحمِ مـاعـزٍ
وجَـدْيٍ كثيـر الشحم أصبـح راضعـاً
وأجـعـلُ تـخـليط الـروافض كـلِّهـم
لِفقحـة بختيشـوع في النـار طـابعـا

فقال لي: كيف وقعت على فقحة بختيشوع ويلك؟

(١) أبو نواس، السيد محسن الأمين ص (١١٢) نقلاً عن محاضرات الراغب.

قلت: بها تمّت القافية. فضحك وأمر لي بجائزة وانصرفتُ»[١].

● لا دَرَّ درُّ أبانِ.

(٢٣) كثر في الحواضر الإسلامية الشُكّاك والدهريون ومروجو التعاليم اليهودية والأعجمية المتزندقة. والزنادقة من الثنوية القائلين بالإلهين وغيرها من مذاهب الفرس ولا سيما المانوية. فكانوا يتّصلون بالناشئة يزيّنون لهم المروق والإلحاد ويفسدونهم. ولولا ظهورُ المتكلّمين وقوة المعتزلة يومئذ لكان بلاد العروبة والإسلام بهؤلاء أشدّ وأنكى.

ولعلّ في الأبيات التالية التي هجا بها أبو نواس خصمه شاعر البرامكة أبان بن عبد الحميد اللاحقي، هجاءً يحفل بظرفه النفسي والأدبيّ والكلامي وقدرته على المعابثة والفكاهة، صورة لما كان شائعاً في أوهام الناس من عقائد المانوية في ذلك العصر.

قال أبو نواس[٢]:

جالستُ يوماً أباناً
لا درَّ درُّ أبانِ

(١) أبو نواس: السيد محسن الأمين ص (١٢٥ ـ ١٢٦) نقلاً عن تاريخ بغداد بسنده وعن ابن منظور.
(٢) الديوان ص (٥٤٢).

ونــحــنُ حُــضّــرُ رواق آلْـ
أمــيــر بــالــنَّـــهْــروانِ
حــتــى إذا مــا صلاة آلْـ
أُولَــى دَنَــتْ لأوانِ[1]
فــقــام مُــنــذِرُ ربّي
بــالــبــرّ والإحــســانِ[2]
وكــلــمــا قــال قُــلــنــا
إلــى انــقــضــاء الأذانِ[3]
فــقــال: «كــيــفَ شــهــدتُــمْ
بــذا بــغــيــرِ عِــيــانِ؟!
لا أشــهــدُ الــدهــرَ حــتّــى
تــعــايــنَ الــعــيــنــانِ»
فــقــلــتُ: «ســبــحــان ربــي!»
فــقــال: «سُــبْــحَــانَ مــانــي»[4]
فــقــلــتُ: «عــيــســى رســولٌ»
فــقــال: «مِــن شــيــطانِ»

(١) صلاة الأولى: يقصد صلاة الفجر.

(٢) منذر ربي....: المؤذّن.

(٣) أي كلما قال المؤذن قولاً ردّدناه بعده.

(٤) راجع الكلام على ماني في الباب الأول ص (٣٠) في هذا الكتاب.

فـقــلـت: «مـوسـى نَـجـيُّ آلْـ
ـمُـهَـيْـمِـنِ الـمـنّـانِ»[1]
فـقــال: «ربُّـك ذو مُـقْـ
ـلَـةٍ إذْنٌ ولـسـانٍ
أنَـفْـسُـهُ خَـلَـقَـتْـهُ؟
أم مَـنْ؟!» فـقـمـتُ مـكـانـي
وقــلـت: «ربـي ذو رَحْـ
ـمَـةٍ وذو غُـفـرانِ»
وقُـمـتُ أسـحـبُ ذيـلـي
عـن هـازلٍ بـالـقُـرَانِ[2]
عـن كـافـرٍ يـتـمـرّى
بـالـكُـفـرِ بـالـرحـمـٰنِ[3]
يُـريـدُ أن يـتـسـاوى
بـالـعُـصـبـة الـمُـجّـانِ
بـعـجـردٍ وعُـبَـادٍ
والـوالـبـيِّ الـهِـجـانِ[4]

---

(١) النجيُّ: من يناجيك وتُسارُّه.

(٢) القُران: القرآن.

(٣) يتمرّى بالكفر: يتزيّن به.

(٤) عجرد: حمّاد عجرد. الشاعر الماجن/ الوالبي: والبة بن الحُباب أستاذ أبي نواس الأوّل.

وابن الإياس الذي
ناحَ نَخْلَتَيْ حلوانِ[1]
وابن الخليع علي
ريحانة النَّدمانِ
إني وأنتَ لَزانٍ
من زنية وزوانِ

● **الظريف يروي الأحاديث.**

(٢٤) ومن طريف حال أبي نواس أن يكون راوياً للحديث وهو شاعر مستغرق الشعر في المجون والتفنُّن في الغزل ووصف الخمر وما إلى ذلك. لكنّ علوّ همته دعاه إلى الدخول في كل فن.

ولم يترك أبو نواس الظرف والمداعبة في شعره حتى في حال طلبه الحديث ومع أحد مشايخه فيه. ومما يُروى في ذلك أنه أقبل ذات يوم إلى مجلس الشيخ عبد الواحد بن زياد ـ أحد مشايخ أبي نواس في الحديث بالبصرة ـ وقد كثر عليه أصحاب الحديث ليسألوه عنها. فقال لهم الشيخ: «ليسأل كل رجل

---

(١) ابن الإياس: هو مطيعُ بن إياس من مُخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.
ونخلتا حلوان اللتان يشير إليهما الشاعر ورد ذكرهما في مطلع قصيدته:
أسعداني يا نخلتيْ حلوان
وابكيا لي من رَيب هذا الزمانِ

منكم عن ثلاثة أحاديث مهمّة وليمضِ» ففعل الناس ذلك، حتى انتهى إلى أبي نواس فقال: «سَلْ يا فتى»فقعد بين يديه وأنشأ يقول:

ولقد كُنّا روينا
عن سعيدٍ عن قَتَادَهْ
عن زُرارةَ بن أوفى:
أنّ سَعْدَ بنَ عبادَه
قال: من لاقى حبيباً
فاز منه بالسعادَهْ
وإذا مات مُحبّاً
فَلَهُ أجرُ الشهادَهْ
والذي يجمعُ إلْفَيْنِ
على حُسْنِ الإرادَهْ
بوقارٍ وسكونٍ
وتَأتٍّ للمرادَهْ
هو في ذاك حكيمٌ
زعمت ذاك جَرّاده[1]
أترى ذاك صواباً
نتّبِعْ منه سَدادَهْ؟

(١) جرادة: امرأة بالبصرة تجمع بين الرجال والنساء.

فالتفت إليه الشيخ مُغضِباً وقال: اغرب عني يا خبيث! والله لا أحدِّثك بعد ذلك، ولا أعرف وجهك». فقال أبو نواس. كالمعترض: «والله لا أتيتُ مجلسَك وأنت تردّ الصحيح من الأحاديث».

وبلغ ذلك مالك بن أنس وإبراهيم بن يحيى فقالا: «عراقيّ غثّ ليس له تمام نُسْك ولا عقل ولا ظرف. فهلّا اغتنم ظرفه» فقال أبو نواس:

لعمرُكَ ما العبدُ المؤدّي ضريبةً
بل العبدُ عبد الواحد بن زيادِ
فليس بذي دنيا ولا ذي ديانة
ولا ذي حجًى في عِلمِه وسدادِ [1]

(٢٥) قال عبيد الله بن محمد بن عائشة: أتيتُ إسحق بن يوسف الأزرق يوماً. فلما رآني بكى! فقلت: ما يُبكيك؟ فقال: هذا أبو نواس. قلت: ما له؟ قال: يا جارية! ائتيني بالقِرطاس، فإذا فيه مكتوبٌ:

يا ساحر المقلتين والجيدِ
وقاتلي منك بالمواعيدِ

(١) الخبر منقول من مصادر شتّى. راجع: أبو نواس: قصة حياته.عبد الرحمن صدقي ص (٦٦) نقلاً عن تاريخ بغداد للخطيب / أبو نواس: السيد محسن الأمين ص (٨٣ ـ ٨٥) (نقلاً عن ابن عساكر في تاريخ دمشق).

حدّثني الأزرقُ المحدّث عن شمّـ
ـر وعوف عن ابن مسعود
ما تُخْلِفُ الوعدَ غيرُ كافرةٍ
أو كافرٌ في الجحيم مصفودِ

وقال: كذب واللّهِ عليّ وعلى التابعين وعلى أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ما حدّثْتُه واللّهِ بهذا قطُّ. وهذا يدلُّ على أن إسحق هذا كان مغفّلاً[1].

(٢٦) ورووا أنه لقي شُعبةُ ـ وهو من رواة الحديث ـ أبا نواس، فقال له: يا حَسَنُ! حدّثْنا من ظرفك. فقال أبو نواس:

حدَّثنَا الخفاف عن وائل
وخالد الحذّاء عن جابر
ومسعد عن بعض أصحابه
يرفعه الشيخ إلى عامر
قالوا جميعاً: أيّما طفلة
علقها ذو خلق طاهر
فواصلتْه ثم دامتْ له
على وصالِ الحافظ الذاكرِ
كانت لها الجنّة مفتوحةً
ترتَعُ في مرتعها الزاهرِ

(١) أبو نواس: السيد محسن الأمين ص (٨٥) نقلاً عن تاريخ دمشق لابن عساكر.

وأيّ معشوق جفا عاشقاً
بعد وِصالٍ دائم ناضرِ
ففي عذابِ الله بُعداً له
نَعَمْ وسحق دائم ذاخر

فقال له شعبة: «إنك لجميل الأخلاق وإني لأرجو لك» فانظر إلى الفرق بينه وبين إسحق[1]!

● **أخمراً وتصوفاً!!**

(٢٧) ومن ظرف شعر أبي نواس الخمري البديع شعره الذي حاكى به شعر المتصوفين والروحانيين الخمري.

بيد أنه، على الرغم من أن هذه الخمريات التي سنذكر بعضها نظمها الشاعر في خمر حسّية، فإن في شعره فيها ما يَرِدُ على السمع كأنه صلاة روحية وترتيلةٌ من التراتيل الدينية.

مثل مطلع هذه القصيدة[2] وما يرد فيها من ألفاظ المتصوّفة:

أثْنِ على الخمر بآلائِها
وَسَمِّها أحسنَ أسمائها[3]

---

(١) أبو نواس. السيد محسن الأمين ص (٨٦) (نقلاً عن الخطيب البغدادي).
(٢) الديوان ص (١٣).
(٣) أثْنِ: أمر من الثناء/ الآلاء: النِّعم.

لا تجعلِ الماءَ لها قاهراً
ولا تُسلِّطْها على مائِها

كرْخيّةٌ قد عُتّقت حقبة
حتى مضى أكثر أجزائها[1]

فلم يكدْ يُدرِكُ خمّارها
منها سوى آخِرِ حوبائها[2]

دارتْ فأحيَتْ غيرَ مذمومةٍ
نفوسَ حَسْراها، وأنضائها[3]

والخمر قد يشربُها معشَرٌ
ليسوا إذا عُدّوا بأكفائها

ولو نطق أحد شعراء الصوفية بالبيت الأول وحده في وصف خمرته الصوفية لما أنكره عليه أحد ولأوفى به على الغاية. وهذا يدل على مقدار ما وصلت إليه نفس أبي نواس من تقديس الخمر، ومقدار إحساسه الديني الصوفي الراقي، وظرف نفسه وقدرته على الجمع بين الإثنين، فقد جعل للخمر نِعَماً تستحق الثناء وأسماءَ حُسنى يختار أحسنها ليطلقه عليها.

---

(١) كرخية: نسبة إلى الكرْخ من ضواحي بغداد.
(٢) الحوباء: النفس.
(٣) الأنضاء جمع النضو وهو هنا المهزول من العشق.

(٢٨) ثم هذه التلويحات النورانية لاستحالتها روحاً لطيفاً لم يَقم جوهر به[١]:

هـذا قـنـاعُ الـلـيـل مـحـسُـورُ
فـاشـربْ فـقـد لاح الـتـبـاشـيـرُ[٢]
سـلافـةٌ لـم تَـعْـتـصـرْهـا يـدٌ
ولـم تـدنّـسْـهـا الأعـاصـيـرُ
كـريـمـةٌ أصـغـرُ آبـائـهـا
إن نُـسِـبَـتْ كـسـرى وسـابـورُ[٣]
طـوى عـلـيـهـا الـدهـر أيـامَـه
وعُـمِّـيـتْ عـنـهـا الـمـقـاديـرُ[٤]
فـلـم تَـزَلْ تـخـلُـصُ حـتـى إذا
صـار إلى النّصفِ بـهـا الصِّـيـرُ[٥]
جـاءتْ كـروحٍ لم يَقُـمْ جـوهـرٌ
لـطـفـاً بـه أو يُـحـصِـهِ نـورُ[٦]

---

(١) الديوان ص (١٤).

(٢) محسور: مكشوف/التباشير: أوائل الصباح.

(٣) سابور: معرّب شاه بور. يَصِفها بالقِدَم.

(٤) عُميّت عنها المقادير: غفلت عنها.

(٥) تخلُصُ: تصفو/ الأمر الصِّير: منتهى الأمر وعاقبته.

(٦) الجوهر من الشيء: ما قامت عليه طبيعته الأصلية.

(٢٩) ولنستمع إليه وهو يصف مجلساً من مجالس الخمر نقف فيه على بعض ما تنطوي عليه هذه المجالس من رموز وأبعاد قد تصلها بمجالس الخمر عند الصوفية حين يلتقون حول موائد الصفاء، أو حين تتجلى لهم الذات العليا. يقول في قصيدة يصف فيها مثل هذا المجلس(١):

ومسمعةٍ جاءتْ بأخرسَ ناطقٍ
بغيرِ لسانٍ ظلّ ينطق بالسّحرِ(٢)

لتُبديَ سِرَّ العاشقين بصوته
كما تنطق الأقلامُ تجهَرُ بالسّرِ

ترى فخذَ الألواح فيها كأنها
إلى قَدَمٍ نيطتْ تضجُّ إلى الزّمْرِ

أصابِعُها مخضوبةٌ وهي خمسةٌ
تَخَتَّمْنَ بالأوتارِ في العُسْرِ واليُسْر

إذا لَحقت يوماً لُوِيَ اصبعٌ لها
فتحكي أنينَ الصَّبِّ مِن حُرقَة الهجرِ

تقولُ وقد دبَّتْ عُقارٌ كأنها
دمٌ ودموعٌ فوقَ خدٍّ إذا تجري:

(١) الديوان ص (٢٢٢).
(٢) المسمعة: المغنية/ الأخرس الناطق: العود.

سـلامٌ على شخصٍ إذا ما ذكـرتُـهُ
حَـذِرْتُ من الواشين أن يهتكـوا سِرِّي

فبعضُ النَّــدامى في سـرورٍ وغبـطةٍ
وبعضُ النـدامى للمُـدامـةِ في أسْرِ

وبعضٌ بكى بعضـاً ففـاضَتْ دمـوعـهُ
على الخدّ كالمرجان سـالَ إلى النحر

فساعدتُهُمْ علمـاً بمـا يـورِثُ الهـوى
وأنّ جنــون الحبّ يــولــع بــالحـرّ

فَـسقـيــاً لأيــام مَضَتْ وهي غَـضّــةٌ
ألا ليتهـا عـادتْ ودامتْ إلى الحشـرِ

ولقد أصاب الباحث فيما ذهب إليه من هذه الأبيات فقال وهو يُظهر العُجْبَ والإعجاب معاً: «فمن تكون هذه المغنية؟ وما هذا الأخرس الناطق الذي ظل ينطق بالسحر؟ هل هو العود كما يوحي به ظاهر اللفظ؟ لو كان ذلك العود لَرجَّـع ألحانـاً مسموعة؟ ولِمَ لا يكون هذا الأخرس الناطق رمزاً للمعرفة التي تتناهى إلى مسامع هؤلاء الهائمين بسرِّ الله وسرّ معرفته؟ وأية أقلام هذه؟ وأيـة أسرار تلك التي تتنـاهى إلى أسماع هؤلاء الشَّرْب الذي باكرهم النوروز[١] في عمق الظلام؟ وأي فيض

(١) النوروز: عيد الربيع عند الفرس، وقد نظم الشاعر قصيدته إبّان الربيـع بدليل ما قاله في بيت من أبيات هذه القصيدة:

هذا الذي يثير في القوم الشجون والمواجع فأخذهم نشوة السكر في تجلّيات علوية تُنهي إلى أسماعهم أسرار المعرفة، فيطول بكاؤهم من فرح التجلّي؟ فأيّ وجد هذا.. وأي شوق..؟ وأي مجلس ذاك الذي ينتهي إلى هذا الفيض من الدموع..؟ أتراه يكون مجلساً عاديّاً لخمر مادية صِرف كالتي يتعاطاها الناس العاديون؟[1].

يباكِرُنا النوروز في غلَس الدجى
بنَوْرٍ على الأغصان كالأنجُم الزُّهْرِ

(١) أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد. د. أحلام الزعيم. ص (٨٢).

ظرف أبي نواس الأدبي

● سأل الخصيب، صاحب «ديوان الخراج بمصر، أبا نواس عن نَسَبه فقال: «أغناني أدبي عن نسبي فأمْسَكَ عنه».
(وفيات الأعيان. ابن خَلِّكان ٢/٩٦)

لقد حدّد أبو نواس بنفسه طبيعة ظرفه وأدبه لمّا قال: «إنما المجون ظرف ولست أبعد فيه عن حدّ الأدب»، فبيّن بذلك معنى ظرفه وذهب به إلى أنه عنوان أدب المرء. وأدب المرء إما يكون بعقله وخُلقه وسلوكه، وإما بلسانه أي كلامه.

وهو القائل: «لا ضيعةَ على أديب حيث توجّه، فإنه يجالس أشراف الناس وملوكهم في كل بلد يَرِدُه، وما قُرِنَ شيء إلى شيء أحسنُ من عقل إلى أدب»[1].

● حكمة ظريفة

(١) قال محمدُ بنُ عُيَيْنَةَ: لقيتُ أبا نـواسٍ بعسكر مُكـرَم

(١) طبقات الشعراء. ابن المعتز. ص (٢٠٤).

فقلت لـه: أحبُّ أن تنشدني من شعـركَ شيئـاً تضنّ به على غيري، فأنشدني:

يـكـفـي الـكـريـمَ مـن الـكـلام
لِـمَـنْ يـحـادِثُـه أَقَـلُّهْ
والـشـيءُ شـيءٌ لـم يـزلْ
بـأَدَقِّـهِ يـأتـي أَجَـلُّهْ
إنْ لـم يُـصِـبْـكَ مـن الـكـريـم
الـحـرِّ وابِـلُهُ فَـطَلُّهْ[1]
والـنّـذْلُ يـوقِـعُ نـفـسَـهُ
مـتـعـمّـداً فـيـمـا يـذلُّـهْ
والـحـرُّ يُـكـرِمُ نـفـسَـهُ
بـالـصّـفْـحِ عـمّـنْ لا يُـجِـلُّهْ[2]

فترى من هذا أن الشاعر قد يأتي في أبياته برأي سديد، أو يكشف عن حقيقة عقلية أو نفسانية أو اجتماعية فيُسمّى ذلك أدباً. وإن اختبار أبي نواس ونفاذ ذهنه سمحا لقريحته بالمثل السائر والحكمة المستخلصة.

● **مُنادِر ظريف.**

(٢) كتب الخصيب أمير الخَراج على مصر[3] إلى أبي نواس

---

(١) الوابل: المطر الشديد. الطّلّ: المطر الضعيف، النّدى.

(٢) عصر المأمون: أحمد فريد رفاعي (٣/ ٢٤١).

(٣) الخصيب: هـو الخصيب بن عبـد الحميـد العجمي. وإليـه تُنسَبُ منيـة=

يستزيره وهو من خواصّه، فخرج إليه. وخرج في وقت خروجه جماعة من الشعراء لامتداح الخصيب، ولم يعرفوا خبر خروج أبي نواس حتى اجتمعوا ببستان الرَّقة في الجانب الغربي من بغداد. فقال بعضهم لبعض: «هذا أبو نواس يمضي إلى الخصيب ولا فضلَ فيه لأحد معه، فارجعوا عن قُرب». وبلغ أبا نواس ما عملوا عليه من الرجوع، فصار إليهم مُسلِّماً ثم قال: قد بلغني ما عزمتُمْ عليه من الرجوع فلا تفعلوا، وامضوا حتى نصطحب، فإني، واللَّهِ، لا أبداً إلا بكم» فشكروه وسكنوا إلى قوله[1].

(٣) واتّصل خبر قدوم أبي نواس بالخصيب فجلس له جلوساً عامّاً في مجلس جليل. وأقبل أبو نواس ومعه جماعة الشعراء. فدخل وحده عليه، وبقي الشعراء في دهليزه. فسلّم عليه وقال:

يا أيُّهذا المَلِكُ المؤمَّلُ
قد استزرتَ عصبةً فأقبلوا

= الخصيب بالوجه القبلي وتُعرف الآن باسم (المنية). والخَراج: مثلّثة الخاء (ج) أخراج وأخرجة و(جج) أخاريج: الأتاوة وأصله ما يخرج من غلّة الأرض والمال، أو المال المضروب على الأرض، أو الجزية.

(١) أبو نواس: قصة حياته. عبد الرحمن صدقي ص (١٧١).

وعصبةٌ لم تستزِرْهم طفّلوا
رجوْك في تطفيلهم وأمّلوا[1]
وللرجاءِ حُرمةٌ لا تُجهَلُ
فأبلُهُمْ خيراً فأنتَ الأفضلُ

فاستحسَنَ الخصيبُ قوله وكلّ من حَضَره، وقال له: «من شريكك؟» فعرّفَه أبو نواس خبر الشعراء. فقال: «اجلِسْ فقدّرْ لهم صِلاتهم[2] على حسبَ مقاديرهم في نفسك»، فقدّر أبو نواس لهم صِلاتهم وعرضها عليه، فوقّع بإطلاقها، فأُطلِقتْ من وقتها، وقال له: «آخرجْ ففرّقْها عليهم واصرفْهم»، ففعل ذلك وعاد إليه[3].

● **قصيدة مثل عصا موسى.**

(٤) لما قدم أبو نواس على الخصيب بمصر أذن له وعنده جماعة من الشعراء، فاستنشدَه. فقال له: هنا جماعة من الشعراء هم أقدم مني وأَسَنُّ، فأذَنْ لهم في الإنشاد؛ فإن كان شعري نظير أشعارهم أنشدتُ وإلا أمسكت. فاستنشدهم الخصيب فأنشدوا مديحاً فيه، فلم تكنِ أشعارهم مقاربة لشعر أبي نواس. فتبسم أبو نواس ثم قال: أُنشِدك أيها الأمير قصيدة

(١) طفلوا: طفّل: صار طُفيلياً أي الذي يدخل وليمة ولم يُدْعَ إليها وهو منسوب إلى رجل اسمه طُفَيْل.
(٢) صِلاتهم: (م) الصِلة: العطية والإحسان والجائزة.
(٣) أبو نواس: قصة حياته. عبد الرحمن صدقي. ص (١٧٣).

هي بمنزلة عصا موسى تتلقّف ما يأفِكون؟ قال: هاتِ. فأنشده هذه القصيدة(١):

أجارةَ بيتينا! أبوكِ غَيُورُ
وميسورُ ما يُرجى لديك عسيرُ

ولما قال:

تقولُ التي عن بيتها خفّ مركبي
عزيزٌ علينا أن نراك تسيرُ
أمَا دونَ مصرٍ للغِنى مُتطلَّب
بلى إنّ أسباب الغنى لَكثيرُ
ذَريني أكثّرْ حاسِديكِ برحلةٍ
إلى بَلَدٍ فيه الخصيبُ أميرُ(٢)

قال له الخصيب: إذاً يَكثُر حسّادُها وتبلغ أملها. وأمر له بألف دينار(٣).

● على السَّوط السلام.

(٥) حدّثَ أبو سهل الحاسب وهو في بعض حوانيت الفُسطاط (بمصر) قال: كان أكثر قعود الحسن بن هانىء في هذا الحانوت. فمرّ به في بعض الأيام ابن عبد الحَكَم. وكان

---

(١) الديوان ص (٤٨٠ - ٤٨٤).
(٢) ذريني: دعيني.
(٣) عصر المأمون: أحمد فريد رفاعي (٣/٢٣٤).

في يده سَوْط، فسلّم علينا به. فقال الحَسَن:

سَـلّمَ السَّـوْطُ إذ مـررتَ عَـلينـا
فعلى السّـوطِ لا عليـكَ السّـلامُ!

فقـال ابنُ عبد الحَكَم لمن معـه: من هذا؟ فقيـل: هـذا الحسن بنُ هـانيء. فرجـع إليـه ونـزل واعتـذر منـه. فقَبِـل الحسن بن هانيء عذره وألطَفه(١).

● **مساجلات ظريفة.**

(٦) أما ظرف أبي نواس الأدبي والشعري فكثير. وقد كانت له فيه مواقف طريفة ونوادر ظريفة. وهذا الظرف إمّا يتجلى في مساجلاته اللفظية والشعرية مع أقرانه ونظرائه وعلماء زمانه، وإمـا في منحاه الأدبي التجـديدي الـذي صاغـه في قـوالب ظريفة. وليس أولّ على ذلك مما رُوي عن الرياشي البصري: «أنه حين خلا مجلسُه ذات يوم قال للحسن بن علي الرياحيّ: أنشدني قصيدة أبي نواس التي أوّلها: ألا دارِها بالمـاء حتى تُلينَها»، فقال الرياحي: «ما أحفظها» فقال الرياشي: وَيَحك! بَصْريّ، شابّ، متأدِّب، متغزّل، يُسألُ عن شعر شاعرِ مِصْرِه، ورئيس عصرِه، فيذهب عنه؟! واللّهِ إني لفي سِنّ جدّك وإني لأفكّه نفسي في اليوم مراتٍ بها وبأشباهها من الشعر»(٢).

---

(١) بدائع البدائه. علي بن ظافر الأزدي ص (٣٣٤).

(٢) ألحان ألحان. عبد الرحمن صدقي ص (١٤٩).

(٧) اجتمع أبو نواس ومُسْلِمُ بن الوليد والخليع (الحسين بن الضّحاك) وجماعة من الشعراء في مجلس. فقال بعضهم: أيُّكم يأتيني ببيت شعر فيه آية من القرآن، وله حُكمُه؟ فأخذوا يفكرون فيه. فبادر أبو نواس فقال:

وفِتيةٍ في مجلسٍ وجوهُهمْ
ريحانُهم قد أمِنوا الثقيلا
«دانية عليهم ظلالُها
وذُلِّلَتْ قُطوفُها تذليلاً»[(١)]

فتعجبوا وأُفحموا ولم يأتِ أحد منهم بشيء[(٢)]

(٨) قال الحسين بن الضّحاك: أنشدتُ أبا نواس قولي:

وشاطريّ اللسانِ مُختلِفِ السّكْ
ـرةِ شابَ المجونَ بالنُّسْكِ

فلما بلغت فيه:

كأنما نُصْبُ كأسِهِ قَمَرٌ
يَكرعُ في بعض أنجُمِ الفَلَكِ

نَعَر[(٣)] نعرةً مُنكَرَة. فقلت: مالك؟ فقد رُعتني! فقال:

---

(١) القرآن الكريم: الحاقّة /٢٣.

(٢) طبقات الشعراء: ابن المعتز. ص (٢٠٧).

(٣) نَعَرَ نعرة: صاح صيحة.

هذا المعنى أنا أحقّ به، ولكن سترى لِمَن يروى. ثم أنشدني بعد أيام:

إذا عبّ منهـا شـاربُ القـوم خِلتَـه
يُقبّـلُ في داجٍ من الليـل كـوكبا[1]

فقلت: هذه مُصَالَتَه[2] يا أبا علي! فقال: أتظنّ أنه يُروَى لك في الخمر معنى جيّد وأنا في الحياة! (٣).

(٩) وقـال الحسين بن الضحاك: أنشـدتُ أبا نـواس لمّا حَجَجْتُ قصيدتي التي قلتها في الخمر وهي:

بُـدِّلْتَ من نَفَحـاتِ الـوردِ بـالآءِ[4]
ومن صَبُـوحِـكَ دَرَّ الإبـلِ والشـاء

فلما انتهيت منها إلى قولي:

حتى إذا أُسْنِدَتْ في البيتِ وآحتُضِرَتْ
عنـدِ الصَّبـوح ببسّـامين أكفـاءِ

---

(١) أنظر: الديوان (ص ٢٢).

(٢) المصالتة عند الشعراء: هي أن يأخذ الشاعر بيتاً لغيره لفظاً ومعنى، من الصلت بمعنى اللص.

(٣) الأغاني. أبو الفرج الأصفهاني (١٥٢/٧) - جمع الجواهر الحصري القيرواني ص (١٧١)/العمدة: ابن رشيق (١٨١/٢).

(٤) الآء: شجر الدِّفْلى وهو نبت مُرّ زهره كالورد الأحمر.

فُضَّتْ خـواتِمُهـا في نَعْتِ واصِفِهـا
عن مِثْلِ رَقْراقَـةٍ في جَفْنِ مَـرْهَـاءِ[1]

صُعِقَ صعقةً أفزعتني وقال: أحسنتَ والله يا أشقر! فقلتُ: ويلك يا حَسَنُ! إنّك أفزعتني واللَّهِ! فقال: بلى واللَّهِ! أفزعتَني ورُعتَني، هذا معنى من المعاني التي كـان فكري لا بـدّ أن ينتهي إليها أو أغوصَ عليهـا وأقولهـا فَسَبَقْتَني إليه واختلَسْتَـه مني، وستعلم لمن يُروى ألي أم لك. فكان الأمر كما قال. رأيتها في دفاتر الناس في أول أشعاره[2].

● عِيافة نادرة.

(١٠) قال صاحب العُمدة: ومن مليح ما رأيت في الزَّجْر والعيافة[3]، قال الصولي: كان لأبي نواس إخوان لا يفارقهم، فاجتمعوا يوماً في موضع أخفوه عنه، ووجّهوا إليه برسول معه ظهر قرطاس لم يكتبوا فيـه شيئاً، وخـزموه بـزير[4] وختمـوه بقـار[5]، وتقدمـوا إلى رسولهم أن يـرمي بالكتـاب من وراء الباب. فرمى به، فلما رآه استعلم خبرهم فعلم أنه من فعلهم

(١) الرقراقة: الدمعة التي ترقرق في العين ولا تسيل. المرهاء: المرأة التي لم تكتحل.

(٢) الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني. (١٤٥/٧).

(٣) الزجر: زَجَر الطير: أطاره فتفاءل به إن كان طيرانُه عن اليمين أو تطيّر منه إن كان عن اليسار. والعِيافةُ: زجر الطير.

(٤) الزير: الدقيق من الأوتار.

(٥) القار: مادّة سوداء تطلى بها السّفن، وقيل هو الزفت.

وتعرّف موضعهم وأتاهم فأنشدهم:

زَجَرْتُ كتابَكُمْ، لمّا أتاني
كَزَجْرِ سَوانحِ الطَّيرِ الجواري[1]
نظرتُ إليه مخزوماً بزيرٍ
على ظهرٍ، ومختوماً بقارٍ[2]
فقُلْتُ: الزِّيرُ مُلهيةٌ ومُلْهٍ
وقلتُ: القارُ من دَنّ العُقار
وقلت: الظهرُ أهيفُ ذو جَمالٍ
تركّب صُدْغُهُ فوقَ العِذار[3]
فجئتُ إليكُمْ طَرَباً وشوقاً
فما أخطأتُ دارَكُمْ بدارِ
فكيف ترَوْن زَجْري واعتيافي
: ألستُ من الفلاسفةِ الكبارِ؟![4]

● **مُتْ، ولك عندي خير منها!**

(١١) أراد خلف الأحمر أن يطمئنَّ إلى قدرة تلميذه أبي نواس ومَلَكَتِه الشعرية، فطلب إليه أن يرثّيه قائلاً: «ارثني

---

(١) السوانح من الطير: المباركات لا البوارح المشؤومات.

(٢) مخزوماً: خزم: نَظَم، شدّ.

(٣) العِذار: جانب اللحية أي الشعر الذي يُحاذي الأذن.

(٤) العُمدة: لابن رشيق (٢/٢٦٣). زهر الآداب: الحصري القيرواني (٢/٥٣٦). الديوان ص (٢٦٥).

وأناحيّ. . . .» فرثاه أبو نواس بقطعتين فائقتين فأعجب بهما خلف[1].

ومما قاله في المرثيّة الأولى[2]:

لـمـا رأيـتُ الـمَـنـونَ آخـذةً
كـلَّ شـديـدٍ، وكـلَّ ذي ضَـعَـف
بِـتُّ أعـزّي الـفـؤادَ عـن خـلفٍ
وبـاتَ دمـعي إنْ لا يـفِضْ يَكِـفِ[3]
أنْسَى الـرزايـا مَيْتٌ فُجْعِـتُ بـه
أمْسَى رهينَ الـتـرابِ في جَـدَفِ[4]
وكـان مِـمّـن مـضـى لـنـا خَـلَفـاً
فـليس مـنـه إذ بـانَ مَـن خَـلَفِ[5]

ثم قال له أبو نواس بظرفه المعهود: «يا أبا محرز! متْ ولك عندي خيرٌ منها!» فقال خلف: «كـأنّك قصّـرت؟!» فقـال الحسن: «لا. . . ولكن أين باعث الحزن؟».

● **إثم فرعون وعصا موسى.**

(١٢) كان أبو نواس قويّ، البديهة والارتجال. وقد رُوي أن

---

(١) و(٢) الديوان ص (٥٧٤) والهامش المنجّم * وص (٥٧٧). الهامش المنّجم *.،

(٣) يَكِفُ من وَكَف: سال.

(٤) الجدف: القبر.

(٥) بان: بَعُدَ، أي غاب ومات.

الخصيب أمير الخراج بمصر قال له مرّة وهو بالمسجد الجامع: أنتَ غيرُ مُدافَع في الشعر، ولكنّك لا تخطب. فقام من فوره فقال مرتجلاً:

نحلتُكُمْ يـا أهـلَ مِصـرَ نصيحتي
ألا فخـذوا من نـاصـحٍ بنصيبِ
رمـاكـمْ أميـرُ المؤمنين بحيّـةٍ
أكـولٍ لحيّـاتِ البـلادِ شَروبِ
فإن يَكُ بـاقي إثمِ فرعـون فيكُمُ
فـإن عصـا مـوسى بكفّ خصيبِ

ثم التفت إليـه وقـال: «والله لا يـأتي بمثلهـا خـطيب مِصْقَعٌ[1]، فكيف رأيت؟». فاعتذر إليه وحلف: «ما كنتُ إلا مازحاً»[2].

● التفاحة الباكية.

(١٣) قال شيخ: لقيته يوماً ومعي تفاحة حَسَنة، فأريتُه إياها وسألته أن يصفها، وما أريد بذلك إلا أن أعرف طبعه وسهولةَ الشعر عليه. فقال لي: نحن على الطريق، فمِلْ بنا إلى المسجد. فملنا إليه. فأخذها وقلبها بيده شيئاً ثم قال:

---

(١) الخطيب المِصْقَع: العالي الصوت، البليغ، من لا يُرتَجُ عليه في كلامه.

(٢) وفيات الأعيان. ابن خَلّكان. (٢/٩٧). العمدة. ابن رشيق (١/١٩٠).

يـا ربَّ تـفـاحـةٍ خـلوتُ بـهـا
تُشْعِـلُ نـارَ الـهـوى على كَبـدِي
قَـدْ بِـتُّ فـي لـيـلتـي أُقـلّبـهـا
أشكـو إليـهـا تَـطَاوُلَ الـكَـمَـدِ
لـو أنَّ تـفـاحـةً بكـتْ لـبـكـتْ
مـن رَحمـتي هـذي الـتي بـيـدي

وبسط يده فناوَلَنيها[1].

● أفعلتموها أعجمية؟!

(١٤) حـدّث دعبل الشـاعر أنـه اجتمع هـو ومُسلم وأبـو الشيص وأبـو نواس في مجلس. فقـال لهم أبـو نـواس: إن مجلسنا هذا قد شُهِرَ باجتماعنـا فيه، ولهـذا اليوم مـا بعده، فليأتِ كل واحدٍ منكم بأحسن ما قاله، فلينشده.

فسألناه أي يُنشد، فأنشد أبو نواس:

لا تبـكِ ليلى ولا تَـطْرَبْ إلى دَعْـدِ
وآشْربْ على الورد مِنْ حمراء كالـوردِ
كأساً إذا آنْحَـدَرَتْ في حَلْقِ شاربهـا
وَجَـدْتَ حُمـرتَهـا في العين والخـدِّ
فـالخمـر يـا قـوتـةٌ والكـأسُ لؤلؤةٌ
في كفِّ جـاريـةٍ مَمْشُـوقَـةِ الـقَـدِّ

(١) الشعر والشعراء. ابن قتيبة (٢/ ٨٠٢).

تَسْقِيكَ من طَرْفِها خمراً ومِنْ يَدِها
خَمْراً فما لَكَ من سُكرَيْنِ من بُدِّ
لي نَشْوَتَانِ وللندمان واحدةٌ
شَيْءٌ خُصِصْتُ به من دُونِهِمْ وحدي

فقاموا كلهم فسجدوا له! فقال: أفعلتموها أعجمية؟ لا كلّمتكمْ ثلاثاً ولا ثلاثاً ولا ثلاثاً. ثم قال: تِسعةُ أيام في هجر الإخوان كثير، وفي هجر بعضٍ يوم استصلاح للفساد وعقوبة على الهفوة. ثم التفت فقال: أعلمتم أن حكيماً عتب على حليم، فكتب المعتوبُ عليه إلى العاتب: يا أخي! إنّ أيام العمر أقلّ من أن تحتمل الهجر»[1].

● حلبة طريفة.

(١٥) وظرف أبي نواس في أدبه الشعري لا يقف عند حدّ، ولا سيّما في وصف مجالس الخمر والمنادمة حيث لا يطيب الشرب إلا مع الغناء المبدع والصوت النديّ والأنغام المطربة. ومن ظريف ذلك قوله في هذه القصيدة[2]:

إذا أَجْرى أمينُ اللَّهِ
في الحَلْبَةِ أفراسا

(١) العقد الفريد. ابن عبد ربه (٦/ ١٩٠ ـ ١٩١). وعتب الحكيم على الحليم في المرجع نفسه (٣/ ٨٥).
(٢) الديوان ص (٢١٧).

أقـمْـنـا حَـلْـبـةَ الـلَّهْـوِ
فـأجْـرَيْـنـا بِـهـا الـكَـاسـا
وأنْـشَـأنـا بـهـا مـن طُـرَفِ
الـرَّيـحـان أجـنـاسـا
بـمـيـدانٍ جـعـلـنـا خَـيْـ
لَهُ طـاسـاً وأكـواسـا
وصَـيَّـرْنـا عـلى الـسَّـبْـقِ
مـكـانَ الـقَـصَـبِ الآسـا

● الخمر بالغناء والخيل بالصفير.

(١٦) أو في قوله:[1]

تـداوَ مِـنَ الـصـغـيـرةِ بـالـكـبـيـرِ
وَخُـذْهـا من يَـدَيْ سـاقٍ غَـريـر[2]
وَدَعْـني مـن بكـائِـكَ في عِـراصٍ
وفـي أطـلالِ مـنـزلـةٍ ودورِ[3]
ولا تَـشْـربْ بـلا طَـرَبٍ وَلَـهْـوٍ
فـإنَّ الـخيـلَ تـشـربُ بـالصـفـبرِ
فـليس الشـرب إلا بـالـمـلاهـي
وفـي الحـركـاتِ مـن بَـمٍّ وزِيـرِ[4]

---

(١) الديوان ص (٦٧٨).

(٢) غرير: قليل التجربة.

(٣) العِراص جمع عرصة وهي كل مكان واسع بين الدور.

(٤) البَمّ والزير: وتران من أوتار العود لكل منهما نغمة خاصة.

● فتأملّ ظرفه في رفضه التقليد الأدبي بالبكاء على الأطلال القديمة، وفي هذا التشبيه الظريف: تشبيه شرب الخمر على صوت المغني المطرب وعزف أوتار العود الشجي بشرب الخيل بالصفير!

● ظرافة الرمز بالخمر.

(١٧) كما يبلغُ منتهى ظرفه الأدبي في مقدرته الفائقة على وصف الخمر وكأسها. ومثال ذلك هذه القصيدة التي أثارت إعجاب النّظراء والعلماء والرواة.

قال الصولي: مرّ أبو نواس بالمدائن (مقرّ أكاسرة الفرس) فعدل إلى ساباط. فقال بعض أصحابه: فدخل إيوان كسرى. فرأينا آثاراً في مكان حَسَن تدلّ على اجتماع كان لقوم قبلنا. فأقمنا خمسة أيام نشرب هناك. وسألنا أبا نواس صفة الحال، فقال[١]:

ودارِ نَدامى عَطَّلُوهَا، وأَدْلَجُوا
بهَا أَثَرٌ مِنْهم جديدٌ ودارسُ[٢]
مَسَاحِبُ مِن جَرّ الزِّقاق على الثَّرى
وأَضْغاثُ رَيحانٍ جَنِيٍّ ويابِسُ[٣]

(١) زهر الآداب: الحصري القيرواني(٣/ ٧٩٤)والديوان ص (٣٧) وهامشها المنجّم.
(٢) أدلجوا: ساروا في الليل. الأثر الدارس: الطلل، الذي عفا وتغيّر.
(٣) أضغاث ريحان: ج الضغث: القبضة منه.

حَبَسْتُ بها صَحْبي، فجدَّدْتُ عَهْدَهُم
وإنّي على أمثالِ تلكَ لحابِسُ
ولم أدرِ مَنْ هُمْ؟ غيرَ ما شَهِدَتْ بِهِ
بِشَرْقيِّ ساباطَ الديارُ البَسَابِسُ[1]
أَقَمْنَا بها يوماً، ويوماً، وثالثاً
ويوماً له يومُ الترحّلِ خامِسُ
تُدارُ علينا الراحُ في عَسْجَدِيَّةٍ
حَبَتْها بألوانِ التصاويرِ فارسُ[2]
قرارتُها كِسْرى، وفي جَنَبَاتِها
مهاً تدَّريها بالقِسِيِّ الفوارِسُ[3]
فللخمرِ ما زُرّت عليه جيوبُها
وللماءِ ما دارتْ عليه القلانِسُ[4]

ـ قال يموت بن المزرّع: سمعت خالي الجاحظ يقول: لا أعرف شعراً يفضل قول أبي نواس هذا (يعني الأبيات السابقة)[5].

ـ وعدّ ابن رشيق هذه الأبيات من مليح الرمز. فذكرها ثم

---

(١) ساباط: مدينة فارسية قريبة من المدائن. البسابس: المقفرة.
(٢) عسجدية: ذهبية.
(٣) يصف الصور التي على جوانب الكأس. المها: البقر الوحشي.
(٤) القلانس: أغطية الرأس التي كانت شائعة في أيام الفرس.
(٥) أمالي المرتضى (١/٢٩٧).

شرح قائلاً: «يقول: إنّ حدّ الخمر من صور هذه الفوارس التي في الكؤوس إلى التراقي والنحور، وزبد الماء فيها مزاجاً فانتهى الشراب إلى فوق رؤوسها. ويجوز أن يكون انتهاء الحَباب إلى ذلك الموضع لما مُزجت فأزبدت. والأول أملح، وفائدته معرفة حدّها صِرفاً من معرفة حدّها ممزوجة. وهذا عندهم مما سبق إليه أبو نواس»[1].

● **خطيبة طريفة.**

(١٨) ويتجلى ظرفُ أبي نواس الفني وطرافته الشعرية فيما أبدعته قريحته وجاءت به عبقريته من قَصص شعري فني بزّبه سابقيه وقصّر عنه معاصروه ولاحقوه، فجاء نسيج وحده، كما كان يقول عن نفسه. فللمرة الأولى تستقلّ القصيدة الخمرية على يديه وينحو في كثير منها منحىً قصصياً شيّقاً، متكامل السياق القصصي، محكم الأداء، فائق الفن، يموج بظرف القاص الراوي وخيال الفنان اللطيف الحس الدقيق التصوّر، والصور الرشيقة الفتّانة والحيوية الدافقة الغامرة.

فمن ذلك مثلاً هذه الطرفة الخمرية القصصية التي تروى. قال أبو نواس[2]:

يا خاطبَ القهوةِ الصَّهْبَاءِ، يمهُرُها
بالرّطْلِ يأخذ منها مِلأَهُ ذهباً

---

(١) العمدة. ابن رشيق (١/٣٠٦).

(٢) الديوان ص (٩١ - ٩٢).

قصّرْتَ بالراح، فاحذرْ أن تُسمِّعَها
فيحلِفَ الكرمُ أن لا يحملَ العِنَبا[1]
إني بذلتُ لها لمّا بَصُرْتُ بها
صاعاً من الدّرّ والياقوتِ ما ثقِبا
فاستوحشَتْ، وبكَتْ في الدّنّ قائلةً
«يا أمُّ وَيْحَكِ، أخشى النارَ واللهبا»
فقلتُ: «لا تحذريهِ عندنا أبداً»
قالت: «ولا الشمسَ؟» قلت: «الحرُّ قد ذَهَبَا»
قالت: «فَمَنْ خاطبي هذا؟» فقلتُ: أنا
قالت: «فبعليَ؟» قُلت: «الماءُ إن عَذُبا»
قالت: «لقاحي» فقلت: «الثلجُ أُبرِدُهُ
قالت: «فبيتي، فما أستحسن الخشبا»
قلتُ: «القنانيُّ والأقداحُ، ولّدها
فِرعونُ» قالت: «لقد هيَّجت لي طَرَبا»
لا تمكّنّي من العِربيد، يشربني
ولا اللئيمِ الذي إن شمّني قَطَبا[2]
ولا المجوسِ، فإنّ النار ربُّهم
ولا اليهودِ، ولا مَن يعبُدُ الصُلُبا

---

(١) قصّرتَ بالراح: لم توفّها حقّها.

(٢) قطّب: عبس.

ولا السِّفالِ الذي لا يستفيقُ، ولا
غِرِّ الشباب، ولا من يجهلُ الأدبا[1]
ولا الأراذلِ، إلا من يوقِّرُني
من السُّقاةِ.. ولكن اسقني العَرَبا
يا قهوةً حُرِّمَتْ إلا على رَجُلٍ
أثرى، فأتلفَ فيها الحال والنَّشَبا[2]

● خمرٌ راوية ودنان شيوخ.

(١٩) ومنها هذه القصيدة الذائعة التي يُعمل فيها أبو نواس منتهى ظرفه فيُحيل الخمر راوية أسطورياً أشبه بعرّافي الأساطير اليونانية أو شياطين عبقر الذين أوقدوا الأفكار في العقول والنفوس وقبسوها المعرفة ويقينَ الحق وحكمة الدهور حتى سرت فيها أنوارها فشفتها من الداء وأحيتها بعد أن كانت رميماً وأضاءت لها معالم الوجود. يقول أبو نواس[3]:

يا شقيق النفس من حَكَم
نِمتَ عن ليلي ولم أَنَمِ
فاسقني الخمر التي اختَمرتْ
بِخمار الشيب في الرَّحِمِ[4]

(١) السِّفال: السيِّيء الخلق.

(٢) النشب: المال الأصيل من الصامت والناطق.

(٣) الديوان ص (٤١).

(٤) اختمرت: لبست الخمار تستتر به. والخمار: النصيف تلفّه المرأة عليها =

ثـمَّتَ آنـصـاتَ الـشـبـاب لـهـا
بعـد مـا جـازتْ مـدى الهَـرَمِ[1]
فـهــي لــلـيـوم الــذي بُـزِلَـتْ
وهي تِـرْبُ الـدهـر في القِـدَمِ[2]
عُـتِّـقـتْ حـتـى لـو آتّـصـلتْ
بـلـسـانٍ نـاطـقٍ وفَـمِ
لاحْـتَـبَـتْ فـي الـقـوم مـاثـلـةً
ثُـمّ قـصَّـتْ قِـصّـةَ الأُمـمِ[3]
قَـرَّعـتْـهـا بـالـمـزاج يَـدٌ
خُـلِقَـتْ لـلـكـأسِ والـقَـلَمِ
فـي نَـدَامَـى سـادةٍ نُـجُـبٍ
أخـذوا الـلذاتِ مـن أَمَـمِ[4]
فـتـمـشَّـتْ فـي مـفـاصِـلِهِـمْ
كـتـمشّـي الـبُـرْءِ فـي الـسَّـقَـمِ

= لتستر به نفسها. ويريد أنها طال عليها العهد حتى شابت وهي جنين لم تولد من الدنان.

(١) انصاتَ: أجاب وأقبل. جازت: تخطّت.

(٢) بزلت: بزل الخمر: ثقبَ إناءها. تِرب الدهر: وُلدت معه ومِن سِنّه.

(٣) لاحتبت: جواب لو في البيت السابق، واحتبى: اشتمل بالثوب، أو جمع بين ظهره وساقيه.

(٤) أمَم: قريب.

فَـعَـلَتْ فـي الـقــومِ إذ مُــزِجَــتْ
مِثْــلَ فِعــلِ الـصُّبْــحِ فـي الــظُّلَمِ
فــاهــتــدى ســاري الــظلام بــهــا
كــاهـتــداءِ الـسَّــفْــرِ بــالـعَــلَمِ[1]

● **المسامر الظريف**

(٢٥) قال أبو نواس: أوّل اتصالي بالخلفاء أن الرشيد قال ذات ليلة لهرثمةَ بن أعين: اطلبْ لي رجلاً يصلح للحديث وللسمَر. فخرج هرثمة فسأل فدُلَّ عليَّ فأدخلني عليه.

فسألني الرشيد عن اسمي واسم أبي فأخبرته. ثم قال لي: يا حَسَنُ! أرِقْتُ في هذه الليلة فخطر ببالي هذان البيتان:

وقــهــوةٍ كــالـعــقــيــقِ صــافــيــةٍ
يــطيــرُ من حــسـنــهــا لــهــا شَــررُ
زوّجْــتُــهــا الــمــاءَ كــي تَــذَلَّ لــه
فــامــتــنــعــتْ حــيــن مَسّــهــا ذَكَــرُ!

فقلتُ بديهاً:

كــذلــك الــبِكْــرُ عــنــدَ خَـلْوتِـهـا
يَــظهــرُ منهــا الــحيــاءُ والـخَـفَــرُ

(١) السَّفْـر: المسـافــرون. العَلَم: شيء يُنصب على الطريق يهتــدي بـه المسافرون.

حتى إذا ساسَها مُمَلَّكُها
فما لها فيه ثَمَّ مُزدَجَرُ[1]

قال: أحسنت والله! وأمر لي بمال. وكان سبب اتصالي به[2].

(٢١) قال له الرشيد ذات يوم: «حدّثْنا يا أبا نواس!» فقال: «لا يحضرني شيء» فقال الخليفة: «بحياتي ألا ما قلت شيئاً». قال: «كان الكذبُ عملي، واليوم هجرته يا أمير المؤمنين!» فضحك الرشيد، وقال: «هذا أحبُّ إليّ من الحديث»[3].

(٢٢) كان يوماً مع الرشيد في قصره، فعلم أبو نواس من بعض خدمه أنه دخل مقصورة جارية من جواريه على غفلةٍ منها فوجدها تغتسل وقت الظهر. فلما رأته تجلّلت بشعرها، فأعجبه ذلك منها. فلما دخل أبو نواس تلك الليلة على مجلس سمر الخليفة أنشده:

نَضَتْ عنها القميصَ لصَبِّ ماءِ
فوَرّدَ وجهَهَا فَرْطُ الحياءِ
وقابَلَتِ الهواء وقد تعرّتْ
بمُعْتَدِلٍ أرقَّ من الهواءِ

---

(١) مزدجَرَ: ازدجره: منعه ونهاه.

(٢) أبو نواس: السيد محسن الأمين ص (٩٤) نقلاً عن ابن منظور.

(٣) أبو نواس: قصة حياته. عبد الرحمن صدقي. ص (١٦١).

وَمَدَّتْ راحةً كالماءِ منها
إلى ماءٍ مُعَدٍّ في إناءِ
فلما أن قَضتْ وطراً وهمّتْ
على عجل إلى أخذِ الرداءِ
رأتْ شخصَ الرقيبِ على التداني
فأسدلتِ الظلامَ على الضياءِ
وغابَ الصبحُ منها تحت ليلٍ
وظلّ الماءُ يقطرُ فوقَ ماء
فسبحان الإلٰه وقد براها
كأحسن ما يكونُ من النساءِ

فنادى الرشيد على سبيل الاستغراب: «سيفاً ونطعاً[1] يا غلام!»

فقال الشاعر: «ولِمَ؟ يا أمير المؤمنين!». فقال: «أمعنا كنت؟» قال: «لا! وإنما شيء خطر بالبال. فقلته» فضحك الخليفة ثم أمر له بجائزة وصرفه[2].

(٢٣) ورَوَوْا أن الأمين أرِقَ ذات ليلة فطلب من يسامره.

---

(١) النَّطْع: بساط من الجلد يُفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس.

(٢) أبو نواس: قصة حياته. عبد الرحمن صدقي ص (١٦٢). أبو نواس، السيد محسن الأمين ص (٩٥) نقلاً عن ابن منظور.

فلم يقرب إليه أحد من حاشيته. فدعاحاجبه فقال: «ويلك! قد خطرت بقلبي خطرات، فأحضرني شاعراً ظريفاً أقطع به بقية ليلتي». فخرج الحاجب فاعتمد أقرب من بحضرته فوجد أبا نواس، فقال له: «أجب أمير المؤمنين» فقال له: لعلك أردتَ غيري؟» قال: لم أُرِد أحداً سواك». فأتاه به. فقال: «من أنت؟» قال: خادمك الحسن بن هانىء، وطليقُك بالأمس. قال: لا تُرعْ. إنه عرضت بقلبي أمثال أحببت أن تجعلها في شعر، فإن فعلتَ ذلك أجزتُ حُكمَك فيما تطلب. فقال: وما هي؟ يا أمير المؤمنين! قال: قولهم: عفا الله عمّا سلف، وبِئسَ واللّهِ ما جرى فرسي، واكسِري عوداً على أنفك، وتمنّعي أشهى لك. قالوا: قال أبو نواس: حكمي أربع وصائف مقدودات! فأمر بإحضارهنّ، فقال:

فَقَدْتِ طولَ اعتلالِك
وما أرى في مِطالِكِ
لقد أردتِ جَفائي
وقد أردتُ وصالَكِ
ماذا أَرَدْتِ بهذا؟
تمنّعي أشهى لكِ

وأخذ بيدِ وصيفة فعزلها. ثم قال:

قَدْ صَحّتِ الأَيْمانُ مِن حَلْفِكِ
وَصِحْتُ حتى متُّ مِن خلفِكِ

بــالــلَّهِ يــا ستّــي! احـنـثـي مــرّةً
ثــم اكســري عــوداً عـلى أنفــكِ(١)

ثم عزل الثانية ثم قال:

فــديــتُــكِ مــاذا الــصَّــلَفْ
وَشَــتْــمُــكِ أهــلَ الــشّــرَفْ
صِــلِي عــاشــقــاً مــدنــفــا
قــد أعــتــبَ مــمّــا اقــتــرفْ(٢)
ولا تــذكــري مــا مــضــى
عــفــا الــلَّهُ عــمــا سَــلَفْ

ثم عزل الثالثة وقال:

وبــاعــثــاتٍ إلــيّ فــي الــغَلَــسِ
ألاَ ائْتِنــا واحــتــرسْ من الــعَسَسِ (٣)
حــتــى إذا نُــوِّمَ الــعُــداةُ ولــم
أخْشَ رقــيــبــاً ولا سَــنَــا قَــبَسِ

---

(١) احنثي: حنث في يمينه: لم يفِ بموجبها.

(٢) المدنف: من ثَقُل مرضُه ودنا من الموت، وهنا العاشق المتيّم الذي هدّه العشق. أعتب: أعتبه: أزال عتبه وترك ما كان يغضب عليه لأجله وأرضاه.

(٣) الغَلَس: ظُلمة آخر الليل. العَسَس: حرّاس الليل.

ركبتُ مُهري. وقد طربتُ إلى
حُورٍ حِسَانٍ نواعمٍ لُعُسِ[1]
فجئتُ والصُّبْحُ قد نهضتُ له
فبئسَ واللَّهِ ما جرى فرسي[2]

● إنزل عن سريرك لأجلس أنا عليه!!

(٢٤) دخل أبو نواس على محمد الأمين فقال: قد قلتُ فيكَ أبياتاً. يا أمير المؤمنين! ولستُ بمُنْشِدِكهَا حتى تنزل عن السرير وأجلسَ أنا عليه. فقال له: قد تجاسرت! فواللَّهِ لَئِن أحسنتَ لأحسِنَنّ إليك، ولَئِنْ أسأتَ لأُمثّلَنّ بك: ثم نزل عن السرير وأجلسه مكانه. فأنشأ يقول:

ضياءُ الشّمسِ والقمرِ المنيرُ
إذا طَلَعَا كأنهما الأميرُ
فإنْ يكُ أشبها شيئاً قليلاً
فقد أخطاهُما منه كثيرُ
لأن الشمسَ تَغْرُبُ حين تُمسي
وأن البدرَ ينقُصُ إذْ يسيرُ
ونورُ مُحمدٍ أبداً تمامٌ
على وَضَحِ المحجّةِ مستنيُر

(١) لُعُس: مفردها ألعس ولعساء: حَسَنُ سواد الشّفَة.
(٢) تاريخ الأمم والملوك. الطبري (٥/١١٨).

فقال الأمين: عليّ بسَفَط[1] فيه دُرّ. فجيء به. فلم يزلْ يحشو فاه حتى صاح: القتيل، القتيل يا أمير المؤمنين!»[2].

● **شِعر لا قافية له!**

(٢٥) قال الأمينُ لأبي نواس: هل تصنعُ شعراً لا قافية له؟ قال: نعم! وصَنَعَ من فوره ارتجالاً:

ولقد قلتُ للمليحة: قُولي
من بعيدٍ لِمَنْ يُحبّك

(إشارة قُبلة)

فأشارت بمِعْصَمٍ ثم قالت،
من بعيد خلافَ قَوْلي

(إشارة: لا، لا)

فتنفّستُ ساعة ثم إني
قلتُ للبغلِ عند ذلك

(إشارة: امشِ).

فتعجبَ جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحُسْن تأتّيه وأعطاه الأمين صِلة[3].

* * *

(١) السَّفَطُ: وعاء يوضَع فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. (ج) أسفاط.

(٢) أخبار أبي نواس. أبو هِفّان ص (٧٠). الديوان ص (٤٢٢) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٣) العمدة: ابن رشيق. (١/٣١٠).

● ظرف التجديد الأدبي:

● على أن ظرف أبي نواس الأدبي لَيتجلّى أظهر التجلي في موقفه التجديدي الفني. قد اتّبع أبو نواس طرائق جديدة في الشعر، ولم يتقيّد بطريقة الجاهليين، ولا بطريقة المحدَثين، وإن كان قد باراهم فيها في طردياته[1] التي أظهر فيها قدرة فذّة على المحاكاة والمجاراة - فجاء، في شعره، بأمور كثيرة تخالف طريقة القدماء والمحدثين لعلّه لم ينفرد بها بل شاركه فيها عِدَة ممن تقدم عليه من المحدثين! إلا أنه توسّع في ذلك كثيراً وأتى بما لم يشاركْه فيه من سبقه وأتبعه عليه من لحقه وربما قصّر عنه فيه. ذلك أن أبا نواس - انطلاقاً من حسه التجديدي - أكثر من ذمّ طريقة الشعراء القدماء ومن هذا حذا حذوهم من المحدثين في وصف الفيافي والقفار والرمال وبكاء الديار والأطلال. وهو لم يقصد بذلك تعيير الشعراء القدماء أنفسهم والطعن عليهم لأنه كان يعلم أن طرقهم الفنية هي وليدة واقعهم الذي كان لا بد من أن يؤثّر في تفكيرهم وبنائه الشعري. وإنما كان ذلك الذم منه إنسياقاً مع جديد العصر، وظرفاً وتملّحاً لا حقيقة. فهو، لاستهتاره بالخمر ووصفها يدّعي أنها أحقّ بالوصف من تلك وأولى بالبكاء من المنازل والرسوم الدارسة.

(١) الطرديات: القصائد التي تروي أيام الطّرْد أي المطاردة في الصيد أو الحرب وغيرها..

(٢٦) فمن ذلك مثلاً قصيدته الميمية التالية التي تكشف عن مدى ظرفه الأدبي هذا. فقد بدأ هذه القصيدة بذمّ تقليد المحدَثين للقدماء عاداً طريقتهم التقليدية في وصف الطلول منتهى العجز والعِيّ عن الكلام والابتكار، مبيّناً أن الانصراف عن الخمر ـ وقد قَصَر عليها مَعلَم الجديد والتجديد ـ إنما هو غرارة وانخداع، جاعلاً الخمر صديقة الروح، واصفاً إياها بكل معنى كريم باهر، منكراً الذهول عنها والاشتغال بأمور أمست من الماضي. ثم ينهيها ساخراً من أولئك المقلّدين ومبيناً أن الاتباع والتقليد الأعمى لا بدّ من أن يوقعا المقلّد بالزلل والوهم. قال أبو نواس[1]:

صِفَةُ الطلول بلاغَةُ الفَدْمِ
فاجعلْ صفاتِك لابنةِ الكَرْمِ[2]
لا تَخْدَعَنَّ عن التي جُعِلَتْ
سَقْمَ الصحيح، وصِحّةَ السُّقْمِ
وَصَديقةِ الروحِ التي حُجِبَتْ
عن ناظِرَيْكَ، وقَيِّمِ الجسمِ
لاكرمُها ممّا يُذالُ، ولا
فُتِلَتْ مرائرُها على عَجْمِ[3]

---

(١) الديوان ص (٥٧).

(٢) الفدم: العَييُّ عن الكلام في رخاوة وقلة فهم.

(٣) يُذال: يُهان. المرائر: مفردها المريرة أي الحبل الشديد الفَتل. على=

صهبـاءَ فضَّلَهـا الـملوكُ عـلى
نُـظَرائِـهـا بـفـضيـلة الـقِـدْمِ[1]

فـعَـلامَ تُـذهَـلُ عـن مُـشَعْشَعَـةٍ
وتـهـيـمُ فـي طـلـلٍ، وفـي رسـمٍ؟

تَصِفُ الـطلولَ على السمـاعِ بهـا
أَفَـذُو الـعِيـانِ كَـأَنْتَ في الـعِلْمِ؟

وإذا وَصَـفْـتَ الـشـيءَ مُـتَّـبعـاً
لـم تـخـلُ مـن زَلَـلٍ، ومِـن وَهْـمِ

(٢٧) ولا يكتفي أبو نواس في ظرفه بذلك، بل ينعت أولئك المقلّدين بالشقاء سخرية واستهزاءً داعياً لهم بدوام حزنهم ووجدهم البالي. ثم تستفزّه حُميّا الظرف والسخط فيُزري بجميع الأعراب مضمّناً حكمَ الله فيهم «والأعراب أشدّ كفرا. . .» تضميناً طريفاً ظريفاً. قال أبو نواس[2]:

عـاجَ الـشقـيُّ على دارٍ يُـسـائِلُهـا
وعُـجْتُ أسـألُ عـن خمّـارة الـبلدِ[3]

= عجمْ: على اختبار، من عَجَم الشيء: اختبره.

(١) الصهباء: الخمر المعصورة من عنب أبيض. نظرائها: أصناف الخمور الأخرى.

(٢) الديوان: ص (٤٦).

(٣) في رواية أخرى: «عاج الشقي على رسمٍ يسائله».عاج: أقام ووقف ورجع وعطف رأس البعير بالزمام.

لا يُــرْقِيءُ اللَّهُ عينيْ من بكى حجـراً
ولا شَفَى وَجْـدَ من يَصبو إلى وَتَـدِ[١]
قـالـوا ذكــرتَ ديـارَ الحيّ من أسَــدٍ
لا دَرَّ دَرُّكَ! قل لي: من بنو أسَدَ؟[٢]
ومَنْ تَميمٌ، ومـن قيسٌ وإخــوتُـهمْ؟!
ليس الأعـاريبُ عنـد اللَّهِ مِن أحَــد!
دعْ ذا، عَـدِمْتُـك، واشـربْهـا معتَّقَــةً
صفــراءَ تُعنِقُ بين المـاءِ والــزَّبَـدِ[٣]
اسْمَحْ وَجُدْ بـالذي تحـوي يداك لهـا
لا تَـدْخَـرِ اليـومَ شيئاً خـوفَ فقـرِ غـدِ
كم بينَ من يشتــري خمـراً يَلَذُّ بهــا
وبين بــاكٍ على نُــؤْيٍ ومُنْتَضَـــدِ![٤]

---

(١) في رواية أخرى:
لا جفّ دمع الذي يبكي على حَجَرٍ
ولا صفا قلب من يصبو إلى وَتَدِ»
رقأ الدمعُ: جفّ وسكن. الوجد: الحزن.

(٢) أسد: أحد بطون العرب من مُضَـر: إمّا أسد بن خزيمـة وإما أسـد بن ربيعة بن نزار. لا درَّ درُّك: لا زكا عملُك.

(٣) تُعنِقُ: تسرع وتتحرك، والعَنَقُ نوع من سَير الإبل والدواب وهو سير واسع فسيح مُمتدّ. يشير بذلك إلى حركة الخمر في الكأس بين الماء والزبد حين يُصبّ عليها الماء. وفي رواية أخرى: «صفـراءُ تفرق بين الـروح والجَسَدِ».

(٤) النُّؤيُ: الحفير حول الخيمة يمنع عنها السيل. مُنْتَضَـد: اسم مكان من انتضدَ بالمكان أي أقام.

(٢٨) وقال أبو نواس[١]:

قُـلْ لِمَنْ يبكـي على رسـمٍ دَرَسْ
واقـفـاً، مـا ضَـرَّ لـو كـانَ جَلَسْ
اتـركِ الـرَّبْـعَ، وسلمى جـانبـاً
واصـطبـحْ كـرخيـةً مِثْـلَ القَبَسْ

وتأمّلْ ما في هذا الطلب من سخرية وفكاهة!

(٢٩) وإليك الآن طريقتَه هو، الظريفة في ذلك الوقوف كما تتجلى في هذه الأبيات العامرة بالوجدانية الصافية ورهافة الحسّ ووجد النفس المعمودة، وقد أضفى على الوقوف القديم من روحه وفنه وظرفه فبعثه بعثاً طريفاً. قال أبو نواس[٢]:

يـا خـليـليَّ سـاعـةً لا تـريـمـا
وعـلى ذي صـبـابـةٍ فـأقـيـمـا[٣]
مـا مـررْنـا بـدارِ زيـنـبَ إلا
فَضَـحَ الـدمـعُ سِـرَّنـا المكتـومـا
ذَكَّـرتْـنـي الـهـوى وهُـنّ رمـيـمٌ
كيف لـو لم يَكُنَّ صِـرْنَ رميمـا؟!

---

(١) الديوان ص (١٣٤).

(٢) الديوان ص (٥٠٣).

(٣) ساعة: أي قِفَا ساعة. لا تريما: لا تبرحا.

● **ذنوبي إلى الله أكثر من ذنبي معك!**

(٣٠) حدّث الرواةُ أنّ أبا نواس هجا إسماعيل بن سهل النوبختي هجاءً ظريفاً فَكِهاً بقصيدته التالية[١]:

خبزُ إسماعيلَ كالوشْي
إذا ما انشقَّ يُرْفا[٢]
عجباً من أثَرِ الصنْعةِ
فيه كيفَ يخفَى؟!
إنّ رفّاءك هذا
أحذَقُ الأمّة كفّا
وإذا قابَلَ بالنِّصْفِ
من الجردَق نِصفا[٣]
يُلصِقُ النِّصفَ بنِصْفٍ
فإذا قد صار ألفا!

وبقصائد أخرى كثيرة، كلها من الهجاء النادر الظريف. ثم أتى بعد ذلك راغباً في صحبته. فقال له إسماعيل:

ـ بأيِّ وجهٍ جئتني يا أبا نواس؟

فقال أبو نواس: «بالوجه الذي ألقى به ربّي، فإنّ ذنوبي إليه

(١) الديوان ص (٥١٥).
(٢) الوَشْيُ: نقش الثوب. يُرفا: يُصلَح ويُخاط.
(٣) الجردق: والجردَقة (ج) جَرادِق: الرغيف (فارسية معرّبة).

أكثر من ذنبي معك». فأعجب إسماعيل بحُسن جوابه وتخلّصه، وعفا عنه وعاد إلى مودّته[1].

● الظريف المحتضَرُ.

(٣١) ولأنّ الظرف طبع أحيل في أبي نواس ومزاج راسخ في نفسه، فإنه لم ينزع عن ظرفه النفسي والأدبي، وعن فكاهته وروحه المرحة حتى وهو في طور النزع على فراش الموت. وإليك دليل ذلك:

حدّث شاعر من موالي بني تميم كان يألف أبا نواس، وكان أديباً ظريفاً، قال: دخلتُ على أبي نواس في علّته التي مات فيها، فسُرّ بدخولي عليه ونشط، فقلت له: أعرِضُ عليك شعراً لي؟ فقال: أعلى هذه الحال؟! فقلت له: أنت بحال خير! وأنشدته إياه. فجعل يبكي. فقلت له: لمَ تبكي؟ لكَ بسائر اليهود والنصارى والملوك أسوة. فقال لي: كم تظنّ من شاعر قد مدح بأحسنَ من شعرك هذا، فكان ثوابُه أن صُفعَ حتى عمي!؟ وأنا أسأل الله أن يرزقك ما رزقهم! فقلت: ما لك! لا شفاك الله! فمات بعد يومين».

وكان هذا في سنة ثمان وتسعين ومائتين[2].

---

(١) أدبنا الضاحك. عبد الغني العطري. ص (٣٦٥).
(٢) الموشح: للمرزباني ص (٥٦١).

الفهرس

فاتحة الكتاب ٧
ظرف أبي نواس ١١
الباب الأول:
ظرف أبي نواس في أعابيثه ٢١
الباب الثاني:
ظرف أبي نواس الكلامي ٦١
الباب الثالث:
ظرف أبي نواس الأدبي ٩٦

مطابع يوسف بيضون
بيروت - هاتف: ٨٣٧٦٩٧ ، ٨٣٧٤٤٩ ـ ٤٦٠٧٤٣

هذه السلسلة وهذا الكتاب

«نوادرُ الظُرفاء من الشعراء والأدباء» سلسلةٌ طريفةٌ تَتبَّع أولئك الظرفاءَ المشاهير تأخذُ عنهم ما جادتْ به قرائحهم من نوادرِ ظرفِهم سواءٌ في معابثاتهم ومطايباتهم، أو في شعرهم وبيانهم الذي صاغوا فيه طبعهم المرح اللذيذ، ومزاجهم الفكهَ المنادرَ، ثم تُحدِّثُ بذلك كلِّه مَن تمَّ فيه الظرفُ والأدبُ من القراء فتطيب نفوسهم، فيمسّهم الطرب فينبسطون ويضحكون وتفترّ أرواحهم وهي يُداخلها العجبُ من حُسنِ تلك النوادر الظريفة.

وهذه هي الحلقة الأولى من تلك السلسلة الطريفة الظريفة. وقد خصصناها بشيخ الظُرَّاف أبي نُواس الماجن الأديب، والظريف الخفيف الظل. وما أحدٌ إلا وكان يميلُ إلى عِشرته ويحسده على قُربه من النفوس لِظَرفه ولُطفِه. وقد كان أبو نُوَاس أظرف الـ
منطقاً، عذبَ الألفاظ لطيفَ البيان كثير النوادر،
قالوا فيه: «إذا رأيتَ الرجلَ يحفظُ شعر أبي نُـ
علمتَ أن ذلك عنوان أدبه ورائد ظرفه».

Bibliotheca Alexandrina
1062866
3